جحيم الياسمين

عنوان الكتاب: حجيم الياسمين
اســـم المؤلـــف: زهير أبو سعـد
رقم الإيداع: ٢٠١٧/٨٣٧٧
الترقيم الدولي: 978-977- 6617-01-8
المدير العام: محمد سلامة
التنسيق الداخلي: عادل محمود ندا

الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

© حقـوق الطبـع والنـشر لهـذا المـصنف محفوظـة، للناشـر الـدكتور/ محمـد سـلامة، ولا يجـوز بـأي صـورة إعـادة النشر الكلي أو الجزئـي، أو نـسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منـه، أو تحويله رقميا أو إتاحتـه عـبر شـبكة الإنترنت، إلا بإذن كتـابي مـسبق مـن الناشر.

زهير أبو سعـد

جحيم الياسميـن

[١]

والحبُ يَبدأُ مِن دِمشَقَ فَأهلُهَا
عَبَدوا الجَمَالَ وذَوَبُوهُ وذَابوا
والخَيلُ يَبدأُ مِن دِمَشقَ مَسَارَهَا
وتَشِدُ للفَتحِ الكَبِير رِكَابُ
والدَهرُ يَبدَأ مِن دِمَشقَ وعِندَهَا
تَبقَى اللُغَاتُ وتُحفَظُ الأنسَابُ
ودِمَشقَ تُعطِي للعُرُوبَةَ شَكلَهَا
بِأرضِهَا تَتَشكَلُ الأحقَابُ.
نِزَار قَبَانِي

في هَذا العَالم
المُحاطِ بِالرُعب،
وبين القَارات المُترَامية بِالحضَاراتِ،
وخلفَ الدُوَلِ المُتسرِب مِنها دُخَانُ الوَطَنيةِ،
وحَولَ العُواصِم التي تَنبضُ تَقدُمَاً مُستفحِلاً في البُنيانِ،
تَغفو مَدينة مُشتَعِلة بِعَبَقِ المَاضي، ومُتأجِجة بِأبخِرةِ الحَاضرِ،
إنَها مَدِينة ليسَت كَبَقِيةِ المُدن، وعَاصِمة ليسَت كَبَقِيةِ العَواصِم، فَلَقد عَرَجَ إلى بَرَكَتها الأنبياء، ويَمَّم إلى رُكنِها الأولِياء، وجَنَحَ إلى قُدسِيَتها القِدِيسون، وطَافَ بِأزقَتِها النُّسَاك، وتَسربَ إلى عَظَمَتِها الكُهَان، والتَحَفَ سَمَائَها قِبَابِ أهلُ الله، وتَوَسَّدَ تُرابَها مَقَامَاتِ آلِ بَيتِ رَسُولِ الله، ولَقَد لُقِبَت باسمٍ مِن أربَعَةِ أحرُف مُطلسَمة، لكُلِ حَرفٍ حَرَمَهُ المُباح، مُصَان ذَلِك الاسمُ في صَوامِع الرَّب، ولَهُ مِنَ الهَيبة مَسيرةِ ألفِ عامٍ لِتَصِلَ إلى حُروفِهِ، أسمٌ مُؤنّثٌ على شَاكِلة آلِهَةٍ إغرِيقِية، إنهَا:
دِمَشقَ،
عَاصِمَةِ الياسَمين،
ووَتَدٌ رَصِين لِبلادِ الشَامِ،
ومَأوى ومَلاذٌ للأرواحِ المُهَاجِرة،
ومرتَعٌ ومَثوى للمُرتَابينَ والحَيارى،
مَدِينة مُطرَّزة بالجُنُون مُحَاكة بالهَوسِ مُحصَنة بالوَحي،
فَفي دِمَشقَ يتَدبّرُ الليلُ انسِحَابَهُ تَارِكًا لنُورِ الصَباح تَسَلُّلاً مُضَمَّخًا بِالنَدى، وفي

كُلِّ بُرهَةِ فَجرٍ تعزِفُ رَوائِحَ البُنِ أوبيرا العِشقِ على صَدى فَيروز، هُناكَ على تِلك الأنقَاضِ المَجبُولةِ بِالمَهابةِ يَتَمَدّدُ بَابٌ مِن أبوابِ دِمشقَ العَشرة، ألا وهُوَ بَاب شَرقي، إنّهُ بَابٌ في الجِهَةِ الشَرقِيةِ لِمَدِينةِ دِمشقَ، كَما أنَ هَذا البَاب ذُكِرَ في الكِتَابِ المُقدّس، حَيثُ ينيرُ ذَلكَ الحَي الكَاتِدرَائِية المَريَمية الأرثَوذُكسية التَابِعة لِطائفةِ الرُوم الأرثَوذُكس، كَما أنهَا المَقر الرَئيسي لبَطريركِيةِ أنطاكيَة وسَائِر المَشرِق للرُومِ الأرثَوذُكس،

في تِلكَ البِقَاعِ القُدسِية المُشبَعة بالإيمَانِ يُجاور الكَنيسَة بيتٌ رقَعتهُ الأيام وأبْلَاهُ الزَمَان، بنوَافِذ مُطلّة على البَاحَةِ المِريَمية وجِدارٌ قد غَزاهُ اليَاسمين المُقدس كَما تُطوِّقُ رَاهِباتِ دَير مَعلولة جَسَدَ المَسيح في لَيلةِ الصُعُودِ إلى السَماء، وبَين ثُقوبِ الصُخُور الحَجَرية القَديمة تَتَلعلعُ عَصَافير الزَرزُور الدِمَشقي كَعُرسٍ عَاقِداً وَلائَهُ كُل يَومٍ بِبُزُوغ كُلِّ فَجر، بَيتٌ رمتْهُ البَساطة وجَمَلتهُ الطَبِيعة، بِيتٌ مُكوَّنٌ مِن حُجرَتَين وصَالة، يَتَسربُ إليهَا الضَوء مُنتَعِلاً مِعطفَ الحَياءِ، فَكُل مَا فِيهِ مِن تَوَاضُعٍ يَدعُوكَ إلى تَرصدهِ بِخَجَلٍ عَابراً لِمَعايير الجَمَال، بَيتٌ طُوى السَقفُ أسرارَهُ، وغُيبت الجُدرانُ بِطَانَتَهُ، وحَثَت ألسِنَةِ اليَاسَمين قَامَتَهُ، وآوَت الطُيورِ إلى شُقُوقِهِ،

على مَسرحِ القَدر، وأمَامِ بَلاطِ الزَمانِ، وتَحتَ أنيَابِ الدُنيا، تجثُمُ امرَأة مَع ابنَتِها في ذَلِكَ المَنزِل المُتَمايل مع التَراتِيل والصَلوَاتِ الصَادِرة مِن صَدى الصَوَامِع،

امرَأة عَبَرَ بِها العُمر خَمسة وخَمسونَ مِن الشَقَاء، امرَأة ذَاعَ صِيتُها إلى كُل أُنثى دِمَشقية أخاطَت ثَوبٍ أو زُفت إلى مَخدَرِها، فَلَقد كُنَّ الدِمَشقِيات يُخِطنَ أثوَابَهُن على إبرَةِ هَذِهِ السَيدة الفَاضِلة، امرَأة تُعطي للصَبرِ دُرُوساً بالحِلم، فَقَد أهدَاهَا الرَبّ رِضًا ممزُوجًا بِالصمتِ وقَنَاعة مَجبُولة بِالسُكونِ، إنَهَا السَيدة الشَريفة

العَفِيفة:

مَارِيا حَنا.

المَشهُورة: بأُمِ ياسَمِينة،

لَقَد تَزوَّجَت أُم ياسَمِينة بِرجُلٍ شَهمٍ أحبَتهُ بِتَولٍّهِ وأحبَهَا بِشَغَفٍ، ليبنِيا عُشَّ حُبِهِما على قَشِ الغَرَام، وبَعدَ أن نَضَجَت نَوَاةِ العِشقِ في رَحِمِها لينتَفِخَ بطنُها بأولِ مَولُودٍ لَهُما، كَانَ المُوتُ يَترَصدُ لِزوجِها في أحَدِ المَدارِس للصُفوفِ الثَانَوية، ليَقعَ مُرتَطِمًا تَحتَ مَخَالِبَ المَوت إثرَ جَلطة دِمَاغية رَاح ضَحيتَها تَرمِيل زَوجة وتَيتِيمُ نُطفة لم تكتَمِل مَلامِحَها في غَياهِب الأرحَام، فَلم تلبَث السَيدة مَارِيا سَبعَة أشهُورٍ مِن حَمْلِها حَتى تَضع منتُوجِ حُبِها بِطفلَةٍ يتَمَها القَدر المُحزِن، لَقد وَضَعت بطِفلة أشهَى مِن نَصاعِ اليَاسَمين وأبهَى مِن لَمَعَانِ البَدرِ، لِتُطلِقَ عَليهَا اسم:

ياسَمِينة.

تَأسِياً بِجَاذِبِيةِ دِمَشق، واقتِداءً بِتَأجُجِ اليَاسَمين المُتَسلِلِ إلى الأزقَة الدِمَشقية بِلا رَقِيبٍ ولا حَسِيبٍ.

تَعلَمَت السَيدة: مَارِيا حَنّا،

مُزَاوَلة الخِيَاطة، وفُنُونِ التَطرِيزِ، ودِقَةِ الحِياكَةِ، لِصُونِ كَرَامَتَها وعِزَةِ نفسَها، ومِن حُبِها لُمهجَةِ قَلبِها الرَاحِل إلى السَمَاء طَوت صِبَاهَا مُنعَزِلة بِكَمَدِها كَطي الدُمُوعِ للأسَى، ومَنعَها ولاءَها لِزوجِها أن تُعَاشِرَ حُبًا بَعدهُ،

فَرَاحتْ تُمَرغُهَا الأيَام بِآلَةِ الحِيَاكة، ويشطُرُهَا الزَمَان بِمِقصِّ التَعَاسة، وتُطرِزُهَا الدُنيا بِإبرَةِ الشَقَاء، ويُخيطُها القَدر بخُيوطِ الرِضى،

إنهَا كَرَامَةُ الذَات القَنُوعة، التي إذَا أُحكِمَت حِيَاكَتَها فِي قُمَاشِ النَفسِ، فَلن

تُهشِمَها كُل مِقصَاتِ الضَنَكِ والشَقَاء،

فَلَقد حَفِظَت أُم ياسَمِنة عِزَةِ نَفسها، وأتقَنت دَورها في سَدِ ثُغُورِ الذُلِ بإبرةِ المَنَعة، وقَامت بِكُلِ إيمَانٍ وتضحِية تُهيلُ رِمَالِ الحِرمَان على صِبَاهَا عَاكِفة على تربِيةِ ابنَتَها:

ياسَمِنة،

فَمِن ضِرعِ الصِدقِ والأخلاقِ والأمَانةِ والوَفَاءِ والرِضى أرضَعتها، مِن بعدِ أن ضَعُفَ بَصَرُهَا، واحدُودَبَ ظَهرُهَا، وتَسربَ الشَيبُ إلى خِصَائِلَ شَعرِها، وأينَعَت التَجَاعيد على تَضَارِيسِ وَجهِهَا، لِتعجُنها سَواعِدَ الإعياءِ والإرهَاقِ والمُعَاناة بَعدَ عشرِينَ سنةٍ عِجافٍ، ولِتصنع مِن:

ياسَمِنة،

فَتَاة أبلَجُ مِن بَرِيقِ اليَاقوتِ والزَبرجَدِ، قَد صَاغَهَا الرَبُ بَهَاءً ووَضَاءةً وانبِهَارَاً مُنَمَّقاً.

[٢]

إني لأعرِفُ في دِمشقَ حِجَارةً
تُلقِي عَليَّ إذا مَررتُ سَلامَاً
فِيهَا قُلوبُ أحبَتِي ودُمُوعُهُم
ورُبُوعُ نَجدٍ خَلفَهَا وتِهَامَا
هَل تَعرِفُ الدُنِيا بِلاداً صخرُهَا
عِندَ اللقَاءَ يُميّزُ الأرحَامَا
مَنْ لم يَنَم في الشَامِ يَومَاً... لَم يَنَم
مَهمَا ادّعى أو ظَنَ أَنَهُ نَامَ

وَائِل حَبَنَكه المَيداني

ياسَمِينة،

قَمْراءٌ بِتَوَهجِهَا،

بَرْاقة بِصَمتِها المُطرق،

لُاعة بِخجَلِها المَحمُوم بِالحَيَاءِ،

كَسَاهَا الإلَهُ هَالة مُضَمَّخة بِالمَهَابة،

مُفعَمَة بِعنفُوَانِ الحَيَويةِ والاجتِهَادِ الدَؤوب،

أُنثَى مُضرَمة بِقوةِ الهِمَةِ والصَمتِ المُرِيب،

مُشتَعِلة بالجُرأة المُصَانة بالإغضَاءِ والسُكُونِ المُبهَم،

صَمتٌ يَبعثُ في تأمُلِكَ بِمَلامِحِها سَكِينةٍ كَصِيفِ دِمَشقَ، إنهَا أُنثى تعبُرُ جُسُور القُلوبِ على جِمَاحِ اليَاسَمِين، وترتَطِمُ في قَعرِ الأفئِدَةِ بِشَغَفٍ، وتَبثُ في مَكَامِنِ الأحشَاءِ أعَاصِير جَاذِبِيتِها الخَلابَة، وتُغِيرُ على الأروَاحِ بِسِهَامِ حِكمَتِها، إنَهَا أُنثَى أنضَجَها اليُتمُ قبلَ أن تَتَلفظ كَلِمة: أبِي،

إنَ الفَقرَ والبَسَاطةَ واليُتمَ والحَاجةَ والجَمالَ الطَبِيعي إذا اجتَمَع بِأنثَى فَاعلم بِأنَكَ سَوفَ تَرى مَلاكًا مُعفَرًا بِالطُهر، ذَلِكَ الطُهر الذي لم تَصل إلى شَواطِئِهِ المُخَمَرَات بِمُعدَاتِ التجمِيل والمِكيَاج، طُهرٌ دِمَشقيٌ مُمتدٌ مِنَ جَنةِ الغُوطة شَرقَاً إلى نَصاعِ الثُلوجِ المُمتَثِلة على جَبلِ الشَيخِ غَربَاً، طُهرٌ شَامِخٌ بِعِفَتِهِ كَكِبرِيَاءِ قَاسِيون، طُهرٌ عُذري لم تلفَحهُ الأنظَار ولم تَمَسَهُ الشِفَاه، طُهرٌ مُعبَرٌ بِنشوةِ المَاضي وبِبَشَاشةِ المُستقبَل، إنَهَا ياسَمِينة،

لا يَتَجرأ قَلَمِي إلا أن يَقُولُ لَكَ إنَهَا ياسَمِينة،

عِشرُونَ سَنة،

وَصَل بِهَا الجَمَال إلى ذِروَةِ الذُهُولِ،
بِوَجنَتَينِ أشهَى مِن فِراءِ التُفَاحِ السَاحِلي،
تَقِفُ مُندَهِشَاً على مَلامِسِ خَدانِ أَلَذُّ مِن لَعقِ العَسل،
وَفَتَين انحَسِرَ فِيهِما زُلال الدِمَاءِ التُوتِية، ليَتَوثَبَ كُلُ مَا فِيكَ مِن قَوافِي شِعرِية وقَرِيحة أدَبِية لِرسِمِهَا بِأحرُفِ الهَامِكَ،
وبِعِينَين أحَدُّ مِن الطُغيَانِ، وأشرَسُ مِنَ الطُوفَانِ، وأَشَدُّ اخضِرَاراً مِنَ الجِنَانِ، تَتِيهُ حَوافِرَ نَظَرَاتكَ، وتَضِلُ مَضَارِبَ شَهَقَاتك، لِتجثُمَ مُرتَعِداً في غَابَة مُخضَرة بالمَتَاهَات،
وبِشَعرٍ حَالِكٍ بالحِدادِ، ودُعجَة مُسترسِلة بِالظَلام، وبِعَتمة مُسدَلة بالدُكنة، تَغفوا الخِصَالِ المُدلهِمة على أمواجِ النَسِيم الدَسِم،
وبرَشَاقة رَقرَاقة، كَلبَاقَةِ الفَراشَات، وخِفَةِ الحَرِيرِ الشَرقِي، لتَقِفَ بحرائِقكَ المُلتَهِبة تحتَ سُحُبِهَا السَاحِرة بِالفِتَن،
وبِحكمَة مُضمَّخة بِالذَكَاء،إنَهَا حِكمَةِ العِشرِينيات، حِكمَة مَحمُومة بِالفِطنة والحَذَاقة، كَمَا أنَ زَوابعَ الزَمَان رَفَع مِن غُبَارِ ذَكَائِهَا إلى فَضاء الأدبِ وهَوَسِ الكِتَابة وعِشق الكِتَاب،

فَلَقد ارتَوَت مِن مَنَاهِل الرِوَايَات، ومِن مَنَابعِ المُدوِنَات، ومِن الصُحُفِ اليَومِية تَحت ظَاهِرة نَوعِية ليسَ لِجَاذِبِيتِها مَثِيل، حَتى تَحركِت كُثبَانِ الوَرقِ وأهتَزَ نِفط الحِبر في قَلَمِها وتَأرجَحت الكَلِمَات على مِنَصةِ السُطور، لِتتَراقَص تَقَارِير عَن الفَقرِ والجُوعِ والسِيَاسة والمَرأة والحُرِية بِحِنكَة مُخِيفة رُغم صِغَرَ سِنِهَا،

إنَهُ جِيل القَلم، والخُروجِ عَن صَمتِ الحِبر، والتَمرُد عَلى صَهيلِ الوَرق،
إنَهُ جِيلٌ مُتَأهِبٌ بِعَتَادِ أروَاحِهِ، ومُتَهيئٌ بِجلجَلةِ حَنَاجِرِهِ، ومُعَدٌّ لاستردَادِ كَرَامَتِه،
إنَهُ جِيلٌ يَغلي كَالبُركَان فَلم تُروضهُ شِعَارات القُومِيَاتِ المُمَزَقة، ولم تُخنِعهُ مَلامِحَ الطوَاغِيت المُقَنَعة، ولم تُسكِتهُ أعَاصِيرِ الشِعَاراتِ الزَائِفة،
إنَهُ جِيلُ الثَوراتِ على لُصوصِ الثَرَواتِ، جِيلُ القَادة والطُوفَانِ الذي سَيجتَثُ أسمَاءٌ مُستَعَارة ووجُوهٌ مَاكِرة وجِباهٌ قَذِرة،
إنَهُ جِيلٌ تَعلمَ مِن أجلِ أن يَتكلم، وتَفَقه مِن أجلِ أن يَتَدفق،
إنَهُ جِيل الانتِفَاضَات والتَمَرُدِ في السَاحَات واستِردَادِ الحُقوقِ المَنهُوبة،
إنَهُ جِيلٌ لبطنِ الأرضِ أحبُ إليهِ مِن استِعبَادِ بَسِيطَة حُريَتِهِ،
إنَهُ جِيل حمَامَاتِ الدِمَاء وشلالاتِ الضَحَايا البَشَرِية والهَزَاتِ الإعلامِية،
إنَهُ جِيلُ الحُروبِ والدَمَارِ والمَجَازِر والقَتلِ والتَنكِيل والتَشرِيدِ والنَفي والتَهجِير، فَلَقد نَشَأت ياسَمِينة بَينَ أكوَامِ الصُحُفِ اليَومِية، تُرَاقِبُ غِوَايةَ العَنَاوين الصَادِرة مِن مَطَابعَ الإفكِ والضَلالِ، تَتَرَصَدُ الأعمِدة السِياسية المُشتَعِلة كَذِباً وجُوراً، فَفي مَوطِنِ اليَاسَمِين يُبَادُ اليَاسَمِين في كُلِ نَشرةٍ سِياسِية، فَكَمَا تَعلم بأنَ المُواطِن في سُوريا بَدلَ أن يَتَصبح بِجَارَتهِ المِغنَاجة فَإنَهُ يَستفِتحُ يَومَهُ بفَيَضَانَاتٍ مِنَ الكَذبِ المَطبُوع في جَرَائِدِ الوَطن، في ضِيَافةِ الصَفحَة الأوَلى كَكُلِ يَوم نَتَشردَقُ مَع أُوكسِجِين الصَبَاح أسمٌ واحدٍ وصُورةٍ واحِدة لِربٍ واحد مِن وَرِيثٍ واحِد، أربَعَةِ عُقودٍ ونحنُ نُخَدر بِشِعَاراتٍ وَطَنِية، يَبُثُهَا فزَاعَة الوَطن وآلِهَتُهَا الدَمَوية، تَجِد صُورهُ تَحتَلُ كُلَ ثُقبٍ بَكُورٍ مُمسَمَرٌ على كُلِ جِدَار،

واسمَهُ العنكَبُوتي يتَسلَلُ المَبَاني الحَدِيثةِ والبَالِية، وشَبَحَهُ يُطَارِدُ الشَعب مِن كُلِ حَدبٍ وصَوب، والرُعب الذِي أذَاعَهُ رَعِيتهُ قد لوَثَ أُوكسِجِينِ البِلاد، إنَها الصُحفِ الصَبَاحِية والفَزاعَة الثَقَافية التي تَبعثُ مَع كُل انبِلاجِ فَجرٍ دُخَانِ الخَوفِ والهَلعِ مِن دكتَاتُور البِلاد، إنَهَا صُحُفٌ سَاخِنة المَكرِ ومُعنوَنَة بِأحرفِ الفَزعِ ومُصَنَّفة على حَسَبِ التَوقِيت المَحلي لِهَشِ كَرَامَةِ الشَعبِ.

[٣]

حُبُ الوَطن شَيءٌ آخَر، مَسَاحَة بِلا حُدُود لأنهَا بِلى ثَمَن، إمَا أن تَكُون أو لا تَكُون، لا تُكتَسب مِثَل الوَطَنِية، تَكَادُ تُكُون غَرِيزَة بِلا نِظَام لَهَا وَهِم جَمِيل، نَشتَهِيهِ ولا نَطُلبَ مِنهُ شَيئَاً إلا سَعَادةَ الألم، عِندَمَا تَتَراجع كُلَ القِيم يَنهَضُ هوَ فِينَا كَمَرضٍ لَذِيذ تَصعُبُ مُقَاوَمَتهُ.

وَاسِيني الأعرَج

ياسَمِينة،

والمُدوِنة التَي تُضمِرُهَا،

والمَوَاضِيع المُتَنَاثِرة بينَ دَفتَيها،

والعُيُوب المُخزِية المُستفحِلة على بَلاطِ البِلاد،

فَلَقد انتَسَبت ياسَمِينة إلى الحِزبِ الشُيوعي السُوري في عَامِ: ٢٠٠٠. للمِيلاد، مَع شَابٍ سَرى الحُبُ بِينَهُما شَوطاً حَمِيماً مِنَ النِضَالِ الوَطني، إنَهُ:

جُوزِيف حَداد،

فَتى يَفُوقُ بذَكائِهِ إلى مَا بَعدِ الدَهَاءِ بِنَجَابة، طَالبٌ في السَنةِ الخَامِسة في كُلِية الطِبِ بِجامِعةِ دِمشقَ، نَشَأَ تَحت كَنَفِ عَائِلة فَقِيرة الجَيبِ غَنِيةِ في كَرَامَتِهَا وعِزَةِ نفسَها، وكَانَ صَدِيقَاً حَمِيمَاً لِياسَمِينة كَمَا أنهُ حَبِيبَاً صَامِتاً لهَا، لَقد حَلَّقَ بِها إلى سَمَاءِ الوَلَه وغَرِقت مَعَهُ في مُحِيطِ الوَلعِ، إنَهُ حُبٌ مقتُولٌ بِعِيارٍ كَاتِمٍ للتَفوه والتلفُظِ، حُبٌ حُكِمَ عَلِيهِ بِالسجنِ المُؤبد في أروِقَةِ القُلوبِ، حُبٌ مُكَابرٌ في زَمَنِ الخَوفِ والرُعب، فَلَقد كَانت فَرَاسَة العِشق تفضَحُ أهلَهَا، ومَلامِحُ أهل الحُبِ تَشِي بِمَن استُوطَنوا الأفئِدة، فَلا رَاد لِقضاءِ الحُب إلا بِدُخُولِ مَوارِبَ مَعارِكِهِ، فإمَا مُوتٌ يَليقُ بِشَرَفِ الحُبِ وإمَا حَياة تَقطرُ نَدَمَاً،

نعم لَقد أحبَها بِدُرُوعِ شَكِيمَتِهِ وبَادلتهُ بِمَجازِر كِبرِيَائِها،

على دَربِ الكِفَاح السِياسي كَانَ ينمُوا الحُب بِينَهُما بِأنفَاسٍ مُختَنِقة، لا أُوكسِيجِين نَقِي يَتَنفسَانِهِ كهَواءِ العِشق، ولا أمواجٍ تَتَلاطَمُ في مُحِيطِ حُبِهِما الكَاتِم كَصَفَعَاتِ الهَوى،

يَلتَقِيهَا في كُل لِقاءٍ شُيوعِي في أروِقةِ حُرِيةِ الكِفَاحِ الفِكري، لتلتَحِفَ عِينَاهُ

شَلالَ شَعرَهَا المَسدولِ على كَتِفِ نَظَرَاتِهِ، ولِتفتَرِشَ أنفَاسَهُ شَمَمَ عِطرِهَا اليَاسَمِيني فِي سَرَادِيبِ أحشَائِهِ، إنَهَا أُنثى تَتَخطى كُل مَقَاييسِ الكَمَالِ في مَكَامِنِ ذَاتِهِ، فَقد سَطَت على قَلبِهِ ونَهَبت لُبَهُ ونَهَشت خَيَالَهُ واستُوطَنت في جَزِيرةِ أحَلامِهِ، وتَمكنت مِنهُ بِكبرِياءِ الإِناثِ المُتَمَاسِكَات المَتِينَاتِ أمَامِ غطرَسَةِ الذُكُورِ الصَلبَة، حَتى وَقعَ فَرِيسة تَحتَ شِبَاكِ انتِظَارِهَا فِي كُلِ اجتِمَاعِ حِزبٍ.

فِي دِمَشقَ،

وفي الطُرُقَاتِ المُعبَدة بازدِحَامِ المَركَبات، وعلى جَنَباتِ الأرصِفَة المُحتَشِدة بِأقدَامِ المَارة، ومِن أمَامِ سَاحةِ الشَهبَندر الوَاصِل بِشَارِعِ حِطِين الذي يَتَربعُ على هَيبَة الحِزب الشُيوعِي السُوري المُوحَد، يَقِفُ جُوزِيف كُلَ غَداةِ أربِعَاء على أرصِفَةِ المُكُوثِ، يتَرصدُ خَيال مَن شَغَلتِ وَقتَهُ بِتَلَهُفٍ، فَهُوَ وحَرارةِ الشَمسِ في غَليَانٍ مُنسَجِم، لَقد أهمَدَ غَلَيانَهُ المَحمُومِ بِالجُنُونِ فِتنَةِ الشَمسِ المُحتَدِمَة، إنَهَا شَمسُهُ المُشتَعِلة أنَاقَةً وبَهَاءً وحَرَارَتَهُ المُلتَهِبة حُباً وشَوقَاً، لِيلتَقي بِهَا على أرصِفَةِ العِشق بِهُدُوءٍ وتَمشي مَعَهُ على شَفِيرِ الصَمت بِسَكينَة،

إنَهُ حُبٌ مُعفَرٌ بِالمُكَابَرة مُغبَرٌ بِضَبَابِ الرَويَة،

حُبٌ مُفخَخٌ بِرَبَاطةِ الجَأشِ والثَبَاتِ مُتَحَدِياً كُلَ أعَاصِيرِ التَنَازُلاتِ،

كَمَا أنَ ياسَمِينة تُبطِنُ لَهُ حُباً وَسِيماً يَلِيقُ بشَرقِيَتِهِ المُتَجَذِرةِ بِالعَراقة، إنَهُ بِالنِسبَة لَهَا قَمَرٌ مَكسو بالشَهَامَةِ والأصَالةِ، عَبَرَ دَربَ فُؤادَها مُتَطِياً شُهُبِ الحَياء مُتَشَبِثَاً بِلِجَامِ الحِشمَة، حَتى ذَابَ قلبُهَا عِشقاً كَشُمُوعِ دَير مَار تَقلا.

جُوزِيف والخَوف،

شَابٌ تستَهوِيهِ الحِكمَة، وتَرُوقَهُ العَقلانِية، وتُسعِدهُ الحِنكَة، وأكثَر مَا يُفزِعَهُ تِلكَ المُدَوَنَة السِيَاسِية التي تُغيِّبُها ياسَمِينة في حَقِيبَتَها أينَمَا رَاحَتْ وارتَاحَتْ، فَلَقَد طَالت ألسِنَةِ كَلِمَاتُهَا سِيَاسَةِ الوَطن السَادِيَة والقَمع المُمَنهَجِ للحُرِيات والرِق المُرعِب للمَرأة والاستِعبَاد القَسري دَاخِل قُضبَانِ البِلاد،

إنَهَا مُدوَنَة عُمرُها أطوَلِ مِن عُمرِ كَاتِبَتِهَا،

مُدوِنَة تُشهِرُ بِلصُوصِ التُرَابِ وسُرَّاقِ الهَواء ومُختَلِسونَ اللُقَم مِن أفوَاهِ الشُعُوب،

مُدَوِنة تَفضَحُ العُيون المَاكِرة وتَهتِكُ السَواعِد المُتَآمِرة وتَكشِفُ الوجُوه الفَاسِدة وتُسقِطُ الأقنِعة الكَائِدة،

مُدَوِنة على شَاكِلةِ دُستُورٍ لِهتكِ أعرَاضِ أولادِ الحَرام والجَهَرِ بِأعلى صَوتٍ يَصِلُ إلِيهِ القَلم،

مُدوِنة تُشنِعُ على الحَنَاجِر التي أرداهَا النِفَاقُ صَرِيعة تَحتَ دَرَجةِ الخَوفِ المئوِية وتَشتُمُ الأكُف التي تُصفِقُ لِجَلَادينَ الشُعُوبِ وتَقذِفُ الأصوَاتِ التي تُبَايعُ الطُغَاة،

مُدُوِنَة تُقَاصِص الأقلَامِ المُحتَالة والصُحُف المُراوِغة والشِعَارات الكَاذِبة،

مُدَوِنة تَنبِشُ عَن أشلَاءِ الكَرَامة في مَقَابِرِ الوَطَنِ العَربي المُلَوَث بِثَانِي أُكسِيدِ الدَكتَاتُورية،

مُدوِنَة تَتَسللُ على شَرَاهَةِ أورَاقِها أحرُفٌ مُغَمَسة بِالقَهر وكَلِمَاتٍ غَارِقة بِوَحلِ الرُعُب وعِبَارَات أصَابَهَا سَرَطَان الهَلع،

مُدَونة قَد تَخطَت بِحِبرِها أعنَاق الظَلَمَة لِتَجُزَّ رِقَابَهُم وتُرِيحَ البَشَرِية مِن

غَطرَستِهِم،

مُدَوِنة لو نَطَقت لَاحتَشَدَت جُيُوشِ الكَونِ بعَتَادِهِم لِكَسرِ قُيود مَن عَشِقوا الحُرِيَة وسَعوا لهَا سَعيَها،

لَقد كَتبت ذَلِكَ الألم الأخرَس الذي يَسيرُ مُنكَسِر الكَرامَة حَافِيَ الحُرِية عَاريَ الشَهَامَة أعمَى الرَصَانَة يَتِيمَاً مِن أُبُوة الوَطَنِية على فَجَائِعَ وَطَنِنَا العَرَبي.

[٤]

عَرَفتُ لأولِ مَرة في حَياتي كَيفَ يَكونُ الانتِصار، الخَوف لا يفعَلُ شَيئاً إلا الهَزِيمَة، والانتصَار لا بكُون إلا بالشَجَاعة.

نَوال السَعدَاوي

ياسَمِينة،

وقَضيَةِ المَرأة العَرَبية،

مِنَ السَهلِ أن تُحِيكَ ثُوباً تَقي بِهِ بَردَ النَوَازِل،

ولَكِن مِنَ الصَعبِ أن تنسُجَ تُرابَاً مُحَاطَاً بِالأمَان في وَطَنِنَا العَرَبِي، فَعَلى هَذِهِ الأوطَان المُطَرزة بِالرأسِ مَالِية الطَبَقِية الأُصُولية الأبَوية العُنصُرية المُتَعَصِبة، تَكتُبُ تِلكَ الشَرقِية شَاهِرةً قَلَمَهَا ومُحتَمِية بِدُروعِ الوَرق،

فَلا شَرَايين تَروي عَطَشَ كَلِمَاتَهَا سِوى جَدَاوِل الحِبر وثَورتِه، فَلَقد امتَثَلت أمَامَ آلامِ النِسَاءِ الجَامِحة في أوطَانِنَا المُغتَصَبة قَهراً مُبرَمَاً، بِصوتِها البَكُور مُنَافِحًا ومُدافِعَاً، عَن كُلِ شَرخٍ صَامِتٍ فِي قَلبِ كُل أُنثَى أردَاهَا الخَوفُ خَرسَاء تَحتَ سَطوَةٍ وتَنكِيلِ الرجال.

غَبية،

نَعم أنتِ،

غَبية أيَتُهَا العرَبية،

وأغبَى مِنَ الأنعَام البَلهَاء،

تَحتَ حَمَقَاتِ العَادَاتِ وسَخَافَة التَقَالِيد وأَوهَامِ الأديَان وتَسمِيَات عَرجَاء استَطَاعوا أن يَستعمِلُوكِ كَأمَة تُبَاعُ وتُشتَرى في أسوَاقِ الشَرف.

شَرف! ،

أيَّ شَرفٍ تَتَحدث عَنهُ بِحَقِ الله،

ونَحنُ نَرى بِأن مِحورُ شَرَفنَا يَدور حُولَ فَرجِ نِسَائنَا،

بِالله عَليكَ لا تَتَحدث عَن الشَرفِ أمَامِي لِأنَنَا أُمة بِلا شَرف، نَعم أُصرُ على ادِعَائي فَنَحنُ قُومٌ لا نَبتُ للشَرفِ بِصِلة، فَالشَرفُ يَنعَمُ بِوادٍ وانكِسَارَاتِنا تَتَلوى بِجَحِيمٍ آخَر، لا أُرِيدُكَ أن تَتَلفظ أمَامِي عَن أحلامِ الشَرف،

أمَمٌ تَرى بِأنَ شَرفَهَا بِتَمَدُدِهَا بِاختِرَاعَاتِهَا التِكنُلوجِية وشُمُوخِ نَاطِحَاتِهَا في البُنيَان، وأُمَة مَكسُورة طَرِيدة شَرِيدة أستَفحَلَ بِهَا فَيروسِ الطُغَاة وتَشعَبت بِها الطُرُقَات إلى الله حَتى أضحَت دِمَاؤنا مُبَاحة لِبعضِنَا البَعض لتَجد أغشِيَةِ البَكَارة شَرفٌ يَستَظلونَ بِدِمَاءِ حَيضِهِ،

أُمَمٌ غَربِية تَخرجُ فِيهَا المَرأة في الثُلثِ الأخِيرِ مِنَ الليل سَافِرة سَاكِرة تَتَمَايلُ في الطُرقَات مُتَجِهة إلى مَنزِلِها لا يَعتَرِضُهَا رَجُلٌ ولا يُعَاكِسُهَا لِيلٌ ولا يُغَازِلُهَا قَمَرٌ،

وأمَمٌ تَدَعِي بِأنَ بَينَهَا وبِينَ الله صِلَة قَرَابة، طَمَعَاً بِالجِنَانِ وهُروبَاً مِن فَشَلِهِم الدُنيَوي تَخرُجُ فِيهَ المَرأة مُختَمِرة مُحَجَبة بِكَافَةِ أكفَانِهَا وعَتَادِهَا القِتَالي وتَجِدَ الرجِالِ الجَائِعة الشَرِهَة جِنسِياً قَذِراً يَتَعرضُونَ لَهُنَ بِالمُعَاكَسة والتَحرُش،

أُمَة أتعَبَهَا التَنَاقُض،

أُمَة تجمُعُهَا المُحظورات وتَفرِقُهَا الطَاعَات،

وكَأنَهُم لِيس لهُم حَدِيثَاً يُضِيعُونَ بِهِ أوقَاتَهُم ويُبرِرُونُ فَشَلَهُم إلا بِحَدِيثِهم عَن المَرأة،

أسمَاءٌ لا تَجِدَها إلا عِندَ العَرب،

المَرأة ضِلعٌ مَكسُور،

كَسَرَ اللهُ فَاك، ومَن قَال لَكَ بِأنَهَا ضِلعٌ مِعوج يا مُلوَث العَقلِ والقَلب !؟

تَعَال مَعي إلى ألمَانِيا يا مُعَاقَ الفَكرِ والمَنطِق،

أنجِيلا دُوروتيا مِيركِل،

تُعد هَذِهِ المَرأة أقوَى امرَأة في العَالم حَسب دِرَاسَات أعَدّتهَا مَجلَة: فُوربِس، Forbes، في عَام ٢٠١١ م،

امرَأة خَاضَت تَبجُح قَلِيلِي الفِهم، كَمَا أنهَا تَولَت مَنصِب المُستَشَار وحَاكِمَاً للبِلادِ فِي ألمَانِيا في عَامِ ٢٠٠٥ م، امرَأة جَمَعت القَارةَ الأورُبِية تَحتَ قِوى واقتِصَاد وسِيَاسَة واحِدة،

بينَمَا فِي وَطَنِنَا العَرَبي يحكُمُنَا أكثَر مِن خَمسَةِ عَشَر ثَورَاً عَلى شَابِهَةِ رِجَال، ولِكُلِ ثَورٍ ذُيُولٍ غَلِيظة وألسِنة شَرِسَة وقُرُوُن مُسننَة وأنيَابٍ حَادة ومخَالبٍ مُتَمَرِدة تُطَارِد الشُعُوب لتمتَصَ دِمَائَهُم المَقهُورة،

رِجَالٌ بِأقنِعة مَاكِرة، أثبَتُوا للشُعُوب بِأنَهُم قُدوَة فِي الاضطِهَادِ والاستِبدَاد.

الأُم تِريزَا،

تُعد هَذِهِ المَرأة كَنزٌ ثَمِينٌ في خِدمَةِ الإنسَانِية،

فَقَد أنفَقَت عُنفُوَانِ فُتُوتِهَا وزَهرَةِ صِبَهَا وكُهُولَةِ هَرَمِهَا في إطعَامِ كُلِ جَائِعٍ وإكسَاءِ كُلِ عَارٍ وإيوَاءِ كُلِ مُشَرَدٍ،

امرَأة ألبَانِيَةِ الأصلِ وَجَدَت الله في أمعَاءِ الجِيَاعِ ودُمُوعِ المَحرُومِين، فَفَي الهِند وإفرِيقِيا وآسيَا وَضَعَت بَصَمَاتهَا فِي جُدرَانِ المُستَشفيات ودُور الرِعَايَات الصِحِية والمَيَاتِم ودُورِ المُسِنِينَ، حتى تَنتَهي مَسِيرَتَهَا إلى الله بِمَنحِهَا جَائزة نُوبِل للسَلامِ في عَام ١٩٧٩م، إنهَا أمَرأة بِضلعِهَا المُستَقِيم كَسَرَت كُلَ عُقولِ الرِجَلِ المُعُوجة.

كَمَا أن الرِجَال في الدُوَلِ العَرَبِية لَيسَ أفضَل حَال مِنَ النِساء، فَقد أثبَتَ الرَجُل

العَرَبِي بِأَنَهُ قُدوة بِالظُلم والجَهَلِ والقَمعِ المُمَنهَجِ للمَرَأة، إنَهُ كَرِيمٌ وشَرِيفٌ أمَامَ الغُرَبَاء وجبَارٌ وخَوارٌ لأهلِهِ ونِسَائِهِ،

على رَحَى الضَبَابِ الذُكُوري الأبَوي الأُصُولي العَرَبِي، تَعِيشُ المَرأة على ثَلاثَةِ مَرَاحِلٍ قَهرِية كَمَا يَقُولُ لَنَا المَثَل الشَعبِي المَشهُورِ:

مِن بَيتِ أبِيهَا إلى بِيتِ زُوجِهَا إلى المَقبَرة،

بَينَمَا الرِجَال يَعِيشُونَ في الأرضِ فَسَاداً أخلاقِياً جنسِياً مُبرَمَاً، لَهُم عِلَاقَات جِنسية عِدة وأسِرة بِنَكَهَاتٍ مُستَفحِلة،

سَرِيرٌ للغَرامِ، وسَرِيرٌ للرَذِيلة، وسَرِيرٌ للعِفة ، يَتَنَقَلونَ بِينَهُا كَالثَعَالب المَاكِرة،

سَادَتِي الرِجَال العَرب،

يا أنبِياءِ النِفَاقِ، وقِدِيسِينَ الخِيَانةِ، وأولِيَاءِ الزَندَقة،

إنَ أخوَفَ مَا تخشُونَهُ بِأن تَصعَدَ على حَلَبَتِكُم امرَأة حُرة تَدُوسُ مَاضِيكُم الأسوَد ومُستقبَلَكُم المُغبَر، لأنَكُم في مَكَامِن أنُفُسَكُم المُشبَعةِ خُبثَاً تعلَمُونَ بِأنَ المَرأة أقوَى مِن صَخَبِكُم وزُعَاقِكُم الكاذِب، جَعلتُم النِساءَ العَرَبِيَات عُملَة جِنسِية ونَقدِية تُبَاعُ وتُورث إلى فُروجِكُم، بِاسِمِ الله والشَهَامَة والشَرف والعَادَاتِ والتَقَالِيد والعُرُوبة ، استَعبَدتُم أغشِيَتَهُنَ وقَد خُلِقنَ على هَذِهِ الغَبرَاءِ أحرَارَاً،

سَادَتِي الرِجَالِ العَرب،

يا رُهبَانِ الظُلمِ وقِسِيسينَ الدَجَل،

لقَد حَطمتُم رَقمَاً قِيَاسِياً في مُوسُعَةِ غِنِتسْ بِسُوءِ ظَنِكُم بِنِسَائِكُم، المَرأة العَرَبِية عِندَمَا تَتَخطَى بِقَدَمَيها خَارِجَ المَنزِل تَبقَى مُدَانَة وتَحتَ ظُنُونِ الشَكِّ ورَيبِ

الاتِهَامَاتِ حَتى تَعودَ إلى المُعتَقَلاتِ الذُكُورِية، بَينَمَا الذُكُور لا يُعِيبَهُم عَيب ولا يُهِينَهُم شَيب، فَمِيزَانُ الرُجُولة عِندَنا بِاستفحَالِ الرَذِيلة في تَرَاكُمِهَا على عَوَاتِقِ الرِجَال، أمَا المَرأة بِخَطأٍ واحِدٍ تسقُطُ سَهواً في ألسِنَةِ الثرثَارِين، فَهل تَرى مِيزَانَ عُقُولِنَا وأفكَارِنَا المِعوَجة يَسُودُهَا العَدل !؟..

أم أنَ العَدلَ أُمنِية صَعبَة المُنَالِ في شَرقِنا الأعوَج !؟.

[٥]

إنَ أبشَع استغلال للإنسَان هُو استغلالهِ باسمِ الدِين، لذلكِ يجبُ مُحَارَبَةِ المُشعوذِين والدَجَالِين حتى يَعلم الجَمِيع أنَ كَرَامَةَ الإنسَان هيَ الخَط الأحمَر الذي دُونَهُ المُوت.

تشي جِيفَارا

ياسَمِينة،

وكَرَامَة الإنسان العَرَبِي،

الكَرَامَة: حُلمٌ عَرَبي تَطمَحُ إلِيهِ الشُعُوب العَرَبية،

أوَلَ مَن شَرّعَ الإيرلَنديونَ حُقُوقِ الكَرَامَة في دُستُورِهِم من عَام ١٩٣٧ م، كَمَا جَاءَ في النَص التَالي:

كَرَامَة الإنسَان هِيَ أمرٌ لا يَمُس بِهِ، يَجِب احترَامَهَا وحِمَايتِهَا وهيَ وَاجِب كُل سُلُطَاتِ الدُولة.

وكَرَامَة الإنسَان في مُجتَمَعَاتِنَا الشَرقِية بِالحِفظِ والصُون إنْ أحببَتَ أن تُلقِي عَليهَا نَظْرة تَتَبع سُطُوري،

سَأبثُ لَكَ أخبَاراً سَارة عَن أنوَاعِ الكَرَامَة التي نَتَنَاولهَا مع وَجَبَاتِنا الثَلاثة مِن الخَيطِ الأبيَضِ إلى الخَيطِ الأسوَدِ إلى الفَجرِ.

تَعرِيفُ الكَرَامَة كَمَا لم نَتَعلمهُا في مَراحِلنَا الدِرَاسِية، تِلكَ الكَلِمَة الَتي تَعلمنَاهَا في مَدرَسَةِ الحَياة:

أحذِيَة دَكتَاتُورية بِمَقَاسَاتٍ عَابِرة للذُلِ، تُوضَعُ في أفوَاهِ الشُعُوبِ مِنَ وِلادَتِهِم إلى الفِطَام حَتَى الفُتُوةَ مُروراً بِمرَاحِلِ الشَبَابِ عَابِرة يَأسَ الكُهُولَة مُنتَهِيَة بِمُوتٍ مُكَفَنَاً بِالمَهَانَة مَدفُونَاً تَحتَ تُرَابٍ مَغدُورٍ بِرَصَاصَاتِ الخِسّة والخِلسَة.

يا عَزِيزي،

الكَرَامَة في أوطَانِنَا لَفظٌ مُرعِب قَد يَدفَعُ الإنسَانَ ثَمَنَهُ طِيلةَ حَيَاتِهِ، أو رُبَمَا يَدفَعُ حَيَاتَهُ بِأكمَلِهَا، وتَصِلُ عُقُوبَة أن تَحلُمَ بِهَا مِنَ السِجنِ الأبَدي إلى الاختِفَاءِ القَسري، وإذَا خَطَرت أو نَزلَ وَحيُهَا بِبَالِكَ أو في نِيَتِك فَيَجِبُ أن تَغتَسِل سَبْعةَ أيَامٍ وتَستَمِعَ إلى الأغَانِي الوَطَنِيةِ سَبعَةَ أشهُرٍ،

والمُجَاهَرة بِهَا صِنفٌ خَطِير مِن أنوَاعِ الخِيَانة التي حَكمْتَ على نَفسِكَ بالمَوت المُبَهر.

يا عَزِيزي،

إذا لم تَعرِف للكَرامَة قِبْلة، فتَعَالَ مَعي إلى دِمَشقَ، أو بِالأحرَى إلى الفَزَاعَاتِ المُخَابَرَاتِية المُستَفحِلة في العَاصِمَة العَتِيقة التي شَكَلتهَا عِصَابَات حِزبِ البَعث من عَام ١٩٦٣ م، بِأسمَاءٍ مُختَلِفَة والمَضمُون واحِد، كالمُخَابَراتِ الجُوية والأمنِ السِيَاسي وأمنِ الدُولةِ والمُخَابَراتِ العَامَةِ والأمنِ العَسكَري،

هُنَاكَ وتَحتَ وَطأةِ اليَاسَمِين يُغَيّبُ التُرَاب السُجُون السِيَاسِية والمُنفَرِدَاتِ العَسكَرِية والأقبِيَة الأمنِيةِ وأدَوَاتٍ مُختَلِفة وآلاتٍ عِدَة تُسْلَخُ بِهَا الجُلود وتُشَرَحُ الأجسَاد وتُمشَطُ العِظَام وتُبقَرُ العيُون وتُقتلعُ الأظَافِر وتُقطَعُ الرُؤوس تَحتَ صَمتٍ عَالَمِي جَبَان، هُنَاكَ في غَيَاهِيبِ المُنفَرِدَات حَيثُ لا صُوتَ لِفَاكَ إلا نَحِيبَكَ ولا سَمعَ لِأُذُنَاكَ إلا أنِينُكَ، جَبَارٌ أنَت أمَامَ هَذا الرُعُب، بل أسَدٌ مُكبَلٌ بِالسَلاسِل قد أفزَعتَ مَضَاجِعَهُم بِزَئِيرِكَ.

إلى أبي أكتُبَ ،

إلى ذَلِكَ الرُجُلُ الحُر الذي لَم يَعرف للخُوفِ مَكَانَاً في قَلبِهِ، فَكم مِن لَيَالٍ مَضتْ عَلِيهِ وقَد التَحَفَ دَهمَاء الأقبِيَة وافتَرَشَ اسوِدَادَ المُنفَرِدَات،

قَالت لهُ أُمِي يَوماً:

إلى مَتى هَذِهِ الحَالة، أمضِيتَ حَيَاتَك وشَبَابِكَ في المُعتَقَلات بِسَببِ الحُرِية والكَرَامة !؟

أجَابَهَا وعِزَةُ نَفسِهِ تَقطُرُ شَهَامَة.

إلى أنْ نَأخُذَ حُقُوقَنَا المسلُوبَة، فلا أُرِيدُ لأولَادي ولا لأحفَادي أن يَعيشُوا في

وَطَنِهِم الأُم، والحُرية والكَرامَة تَعيشُ في عَالمِ الأحْلام، بِدنا شْوِية كَرَامَة بَسْ.
هَذَا أوَلُ دَرسٍ شَاهَدتهُ عَيناي مُنذُ كَانَ عُمُري عَشْرَةَ سَنوَاتٍ، نَعم هُوَ لَم يَستَرِدَ لَنا حَقَنَا بَعد وَلكِن أُستُشهِدَ في أقبيتِهِم حُراً شَرِيفاً مَرفُوعَ الرأسِ والرَأي، لَقَد أحيَاهُ المَوتُ في قُلوبِنَا وخُلِدَ ذِكرُهُ في أروَاحِنَا، وأصبَحَ اسمَهُ بِالنِسبَة لَنَا مَصَدرَ فَخرٍ وكَرَامَة كَمَا كَان يحلُم، هُنَاكَ في سِجنِ صَيدنَايا وَقَّعَ المَوتُ على صَدرِهِ بِرَصَاصِ الشَرَف لتُحَلِقَ رُوحَهُ إلى الله تَعَالى فِي سَبِيلِ كَرَامَتِنَا، عِشتَ حَيَاً ومَيتَاً يا أبَتَاه، كُنتَ ولازِلتَ مُعلِمَاً وأسَداً مِغوَاراً نستَظِلُ بِهِ، أسمُكَ يُرعِبُهُم وذِكرُكَ يُسعِدُنَا، نَم في لَحدِكَ قَرِيرَ العَينِ يا أبَتَاهُ فَإنَنَا على دَربِ الكَرَامة سَائِرون، وتَوَسَد في ذَاكِرَتِنَا يا أبَتَاهُ فَإنَكَ لستَ رَقماً طَواهُ التَارِيخ في عَالمَ النِسيَان بل إنَك نَجمٌ لِكُلِ مُقَاتِلٍ يَذُبُ عَنِ كَرَامَتَنَا.

يا عَزِيزي،

لا أحَد يَشعُر بالحَياة إلا عِندَ فقْدِهَا، وكَذَلِكَ الكَرَامَة، فَنحنُ لا نَعرِفُهَا ولم نَرَهَا ولم نَذُقهَا يَومَاً،

أُقسِمُ عَليكَ يا عَزِيزِي والقَسَمُ وَاجِب، إذْا شَاهَدتَ كَرَامَتَنَا أو لَمحتَهَا أن تُقرِئهَا السَلام، وتَقُولَ لَهَا بِدُمُوعِ الشَوقِ بأنَنَا اقتَتَلنَا وقَتلَنَا الشَوق لرُؤيَاهَا، واسألهَا عَن حَالِهَا وأحوَالِهَا وصِحَتِهَا، ولا تَنْسَى بِأن تَهْمُسَ في أُذُنَيهَا بَأنَ دِمَائَنَا سُفِكَتَ ومَنَازِلَنَا انهَارت وطُرُقِنَا شُتِتت وأحلامَنَا هُجِرَت وأرزَاقَنَا دُمِرت وفِتيَانِنَا أُستُشهِدَوا وبَنَاتَنَا سُبِيَت وعَائِلاتِنَا رُحِلَت مِن أجلِ عَينِيهَا،

وأخبِرهَا بِلسَانِ المَوَدة واللهفَة بِأنَنَا على دَأبِ حُرُوفِهَا نَخطُوا إلى المَوت وفي مُحِيطَاتِ البِحَارِ نَغرَق وعلى مُعسكَرَاتِ اللجُوء نُهَان، ضُمَهَا نِيَابَةً عَنَا ولا تُعكِر صَفُوَ سُبَاتِهَا ولا تَخرُجَ مِن مَضَارِبِهَا حَتى تَبُوحَ لَهَا عَمَ يَدُور في سَبِيلِهَا،

أخبِرهَا عَن الطِفل:
آلآن الكُردِي.
الذِي ابتَلَعَهُ الطُوفَان مِن أجلِ أنْ يَصِلَ إلى يَابِسَةِ الكَرَامَة، وعَن الطِفل:
حَمزَة الخَطِيب.
الذِي عُذِبَ حَتى المَوتِ مِن أجلِ مُظَاهَرةِ الكَرَامة التي طَالبَت بِهَا أهالِ قَرِيَتِهِ،
أخبِرهَا عَن المَذَابِح المُشتَعِلة التي تلتَهِمُ البِلادِ،
أخبِرهَا عَن حِصَار وتَجوِيع دَرعا وحَلب وعن مجزَرَةِ الحُولة ومَذبَحَة بَانِياس
ومجزَرَةِ دَارَيا ومجزَرَةِ مَعرة النُعمَان ومجزَرَةِ خَان العَسل،
قُل لَهَا بِأنَ بِلادَ الشَام وأرضَ الأنبِياءِ ومَلاذَ القِدِيسِينَ وخَلوَة الصَالِحِينَ أضحَت
مَقبَرَة كُبرى قَد تَدخُلُ يَومَاً مَا مَوسُوعةِ غِينتس لأرقَامِ المُوتِ العَبَثي والفَجَائِع
المُربَكَة،
ووَدعها بِقُبلةَ على جَبِينِها كَقُبلِ الطُغَاةِ التي تَتَسَاقط مِن طَائِراتِهِم وصَوَارِخِهِم،
واختُم زِيَارَتِها بِسَلامٍ وأمَانٍ يَليقُ بِها وبِأوسِمَةِ المَوتِ التِي قَدَمَتهَا لشَقَائِنَا.

لا تَقُل لي وَطن، بل قُل كَرَامَة.

[٦]

لا تَمشِ في طُرُقِ الحَياة إلا ومَعَك سَوط عَزِيمَتك وإرادَتك، لتُلهِبَ بِهِ كُل عَقَبة
تَتَعرّض طَرِيقتُكَ.

نِيتشه

ياسَمِينة،

وأحلامِ الحُرِيَةِ العَرَبِية،

العَبَيد فَقَط يَطلُبُونَ الحُرِيَة، والأحرَار يَصنَعُونَهَا.

نيلَسُون مَانِديلا

تَعرِيف الحُرِية في وَطَنِنَا العَرَبِي:

كَلِمَة مَحذُوفَة مِن كُلِ المَرَاحِل الدِرَاسَات الأكَادِيمِية والحَياة اليَومِية، اسمٌ غَرِيب ومَفقُود لم نَستمع بِهِ يَومَاً ولم يَتَلَفَظهُ أحَدٌ قَط.

تَعِيشُ أو تَمُوتُ هَذِهِ الكَلِمة في غُربَة طَرِيدة ومُلاحَقة مِمن نَصَبُوا غَطرَسَتَهُم عَلينَا، ومَع كُلَ هَذِهِ التَدَاعِيَات والهَجَمَات الرُكنِية لا زَالت هَذِهِ الحُرِية مَصَدَرَ رُعُبٍ لِكَافَةِ الشُعُوبِ العَرَبية، فَلَقد أفتَى بَطَارِكَةَ السَيَاسَة ومَعمُودِيَة الدُولِ العَرَبِية وحَتى عُلَمَاءِ السَلاطِين قَدَسَ اللهُ سِرَهُم ونَفَعَ اللهُ الأُمَة بِهَلاكِهِم: بِأنَ الحُرِيَة سَبَبٌ رَئِيسِي لِهَلاكَ البِلادِ والعِبَاد فَمَن أدرَكتهُ نِيَةَ التَحرُر والانعِتَاق ولو وقَعت في سَرِيرَتِهِ سَهوَاً فَلا يَلُومَنَّ إلا نَفسَه.

ولأنَ الحُرِية مَفهُومٌ مُنضَبط وعَامِلٌ مُهِمٌ يَحفَظُ حُقُوقَ وكَرَامَة الإنِسَانَ، فَإنَ هُنَاكَ أُنَاسَاً مِن بَنِي جِلدَتِنَا اتَخَذُوا مِنَ الحُرِية مَطِية للتَمَرُدِ ليتَخطَى انفِلاتُهم حُدُودَ الأدَب إلى مَزَابِلِ قِلَةَ الأدَب، وهُنَاكَ قِسمٌ رَأى بأنّ الحُرِية فُرصَة للوصُولِ إلى مَصَالِحِهِم الشَخصِية، وهُنَاكَ قِسمٌ اتَخَذَها ذَرِيعَة للقَتلِ والسَفكِ والتَنكِيلِ واغتِصَابِ أعرَاضِ البَشَر،

فَلَقد وُلِدَت الحُرِية لِتَستَرِدَ الحُقُوق وتَصُونَ الأعَراض ولِتحفَظَ الأديَان ولِتَعمُر الأرض ولِتَسْيِيرِ مَصَالحَ النَاسِ بِكَافَةِ طَبَقَاتِهِم المَذهَبِية والاقتِصَادِية والاجتِمَاعِية، فَلا نُرِيدُ حُرِية تَشطَح ولا حُرِيةَ تَنطَح، وَلَكِن نُرِيدُ مَن يَنصَح.

فَهُنَاكَ مَن يَملأُ الدُنيا صَخَباً وزُعَاقاً وعَويلاً مِمَن يُنَادي بِالعَلمَنة أو الأسلَمَة بِمُحارَبَةِ الحُرِية ومُطَارَدِة حُشُودُهَا، لِيسَ خَوفاً على عَقَائِدَهِم أو أفكَرِهِم، بَل خَوفاً على مَكَاسِبِهِم ومَنَاصِبِهِم وسَرِقَاتِهِم، فَالعَالم كُلُهُ يَسرِق ويَكذِب بِاسِمِ الحُرِية وكُلُ جِهة وطَائِفة وحِزبٍ وحَرَكة ودَولَة مَدَنِية كَانت أو مَذهَبِية تَدَعِي أنَهَا مِن أنصَارِ الحُرِية، وأنَ عَقِيدَتَهُم أو عَلمَنَتَهُم هِي المَهدي المُنتَظر الذِي سَيَرُد لِهَذِهِ الأرض حُرِيَتَهَا على طَبَقٍ مِن مَنطِقٍ أعوَج، والكُل يَدَعَي الوَصلَ بِلَيلى ولَيلَى لا تَقرُ لَهُم بِوَصلٍ.

أعطِني دِينٌ أو عَقِيدة في العَالم لا يَدعُوا إلى القَتلِ والتَنكِيل، قَدم لي حَرَكة سِيَاسِية أو جَمعِيَة فِكرِية لا تُحَرِض على الحُرُوبِ أو التَخرِيبِ، لَو كَانَ الأمرُ على هَذِهِ الشَاكِلة لَصَمَتَ قَلمِي، بَل كُلُهُ بِاسمِ الله واسمِ الدِيمُقرَاطِية، واللهُ والدِيمُقرَاطِية بَرَاءٌ مِن صَوَارِخَهُم وتَرَسَانَاتِهِم كَبَرَاءَة الذِئبِ مِن دَمِ يُوسِف، أخبِرني بِالله عَلِيك أينَ تَجِد الحُرِية !؟

فَفِي الدُولِ العَقَائِدية التي تحرُسُ حِمى الله كَمَا تَزعُم، إذَا دَخَلتَ مُعتَقَلَاتِهَا تَجِدَهَا مَلأى بِالمُفَكِرين والفَلاسِفَة، وفِي الدُوَلِ الغَارِقَة بِقَوَانِينِ العَلمَنَة المُهتَرِئَة، تَغِصُ السُجُونَ بِالمُنَادِينَ بِالمَذهَبِية وعُلَمَاء الدِين، لِتبقَى الحُرِيَة تَتَلوى في غُربَة على كُوكَبِنَا المُتَناقِض، والشُعُوب والأوطَانِ هِي الضَحِية الوَحِيدة للأسَفِ الشَدِيد.

الحُرِية في الجَمهُورِية العَرَبِية السُورِية،

الحُرِية وسُوريَا نَقِيضَان لا يَجتَمِعَان ولَو بِجَزِ الأعنَاقِ وقَطعِ الأرزَاقِ، فَقبلِ خَمسَةِ عُقُود مِن عَام ١٩٧٠م. عِندَمَا انقَلبَ المُجرِم حَافِظَ الأسَد على رَئيس الجَمهُورِية العَرَبِية السُورِية: نُور الدِين الأتَاسِي، ومُدِيرِ شُؤون الضُبَاط في وَزَارَةِ الدِفَاع المُقَدَم: صَلاح جِديد، ووضعِهِم في السِجن، تَفَنَنَ الأسَد الأب

بِطَرِدِ الحُرِية خَارِجَ البِلاد بِمَجَازِرِهِ التي ارتَكَبَهَا بِحَقِ الشَعب السُورِي.
وفي عَامِ ١٩٨٢م. طَوَقَ الأسَد الأب مَدِينَة حَمَاة بِسَرَايَا الدِفَاع ولِواء ٤٧ للدَبَابَات ولِواءِ المِكَانِيك والقُواتِ الخَاصة المَعروفَة بفَوجِ ٢١ للإنزَالِ المِظَلي ونَاهِيك عَن المَجمُوعَاتِ المُخَابَرَاتِية وفَصَائِل حَربِية إجرَامِية شَتى بِحُجةِ قَمعِ الإخوَانِ المُسلِمين لِيرتَكِبَ أكبَر مَجزَرة شَهِدَهَا التَارِيخ حَيثُ أفَادَت التَقَارِير الدُبلُومَاسِية بِسُقُوطِ ٤٠ ألفَ قَتِيل، فَكَانَ المَوتُ الفَائِز الحَقِيقِي فِي مَعرَكَةِ حَمَاة، لَقَد كَانت نَوايَا الأسَد الأَب أكبَرِ مِن القَضَاءِ عَلى الإرهَابِيين بَيدَ أنَهُ أرَدَهَا مَجزَرة فِرعُونِية لِيجعَلهَا عِبرة لِلشَعبِ الأعزَل، لَقد نَجَح بِقَتلِ الحُرِية والكَرَامَة وإخرَاسِ الأفوَاهِ، فلَقَد أرَادَهَا مَجزَرَةَ رُعبٍ ومَطِيَة لِاعتِقَالِ كُلِ مَن خَرَجَ لِسَانَهُ أو قَلَمَهُ أو نَوَايَاهُ عَن سِرَاطِ حِزبِ البَعثِ العَرَبِي الاشتِراكِي كَمَا كَان يَزعُم، فَلَقَد جَعَلَ مِن الحِزبِ قِنَاعاً عِلمَانِياً يحتَمي بِهِ، فَهوَ الآمِرُ النَاهِي في البِلاد، فَاسأَلِ السُجونَ والأقبِيَة التِي كُنَا فِيهَا وإنَا لَصَادِقُون.
ولم تَتَوَقف إنجَازَات الأسَد الأب بِمحوِ كُلِ مَدِينَة تُخَالِفُ فِكرَهُ أو مَنطِقَ غطرَسَتِهِ فَحَسب، بَل منذُ أن نَصبَ نَفسَهُ آلِهَة تَدَعي أنَهَا المَسِيح المُنتَظَر مِنَ السَمَاء لِتُخَلِصَ الوَطَن مِن نَقمَةِ الإرهَابِيينَ رَاحَ يُصدِرُ فَتَاوَاهُ وقَوَانِينَهُ بِقطعِ رأسِ كُلِ مَن يَقِفَ في طَرِيقِهِ كَانَ مَن كَان، وإنجَازَاتِ اليَوم لَيسَ بِبَعِيدة مِن دِمَاءِ الأمسِ، هَل سَمِعتَ بِالأكرَاد في سُوريا ؟
أحَدِ فِئَاتِ الأقلِيَات في سُوريَا، قَومٌ يُشَكِلُونَ ١٠ ٪ مِنَ الشَعبِ السُوري،
هَل سَمِعتَ بِأُنَاسٍ يَعِيشُونَ بِوَطَنِهِم الأُم بِلا إثبَاتَاتٍ شَخصِية أو مُستَنَدَاتٍ امتِلاكِية ؟
هَل مَرةَ مَعَكَ في تَارِيخِ أُمَة مِنَ الأُمَم بِأنَ قَومَاً عَزّت عَلِيهِم قَومِيتِهِم رَاحُوا

ضَحِية تَهمِيشٍ أبَدِيٍ أزَلِي ؟

هَل رَأيتَ شُبَانَاً كَزُهُورِ الزَنبَقِ الجَبَلِي يحمِلُونَ شَهَادَاتٍ جَامِعِية في الطِبِ والهَندَسة وفُنُونٍ شَتَى لا تَقبَل بِهِم دَولة ولا تَعتَرِفَ بِهِم مُؤسسَة حُكُومِية ولا جِهَة مَعنِية ؟

يا عَزِيزي لا يَذهَب خَيَالُكَ بَعِيداً، إنَهُم الأكرَاد إخُوة الدَم والقَهر، وأحفَادِ الصُخُورِ والجِبَال، ومَدرَسَة في الصَبرِ والتَحَمُل، الأسَد الأب فَعَلَ مَعَهُم مَا لَم يَفعَلَهُ الحَجَاج بِن يُوسف الثَقَفي مَع أهْلِ العِرَاق، فَقَط طَالَبوا بِحُرِيَةِ القَومِية فَكَان الجَزاء بِالقَتِل والتَنكِيلِ والنَفِي والمُلاحَقة وسَحبِ أورَاقِهِم الثُبوتِية والشَخصِية والتَشهِير بِهِم ورَمِيهِم في مَهبِ الزَمَان، فمنذُ أربَعِينَ سَنة مُعلَقة أروَاحُهُم بَينَ كَمَاشة القَدر ومَخَالبِ الطَاغوت، إنَهَا الحُرِية تَأخُذُ مِنَكَ أكثَرَ مِمَ تُعطِيك.

خَمسُونَ عَامَاً وسُورِيا تَعِيشُ في كَبتٍ وضِيقٍ سِيَاسِي وأخلاقِي وفِكرِي مُمَنْهَج، وجَعَلَ الوَطن يُورَثُ وِرَاثَة، لِصاً سَفَاكَاً يُسَلِمُ الوَطن لابنِهِ طَبِيبَ العُيون الذِي احتَضَنَ البِلادَ بِعُيونِ الدِمَاء المُنهَمِرة منذُ ١٥ مَارِس ٢٠١١ م إلى يَومِنَا هَذَا، ومِن أجلِ عُيونِ تِلكَ الكَلِمة اقتَلَعَ طَبِيبِ العُيونِ عُيونَ الشَعبِ بِمدفَعِياتِ وصَوَارِيخِ وطَائِراتِ الوَطن، ولمَ يُشفَى الطبيب مِن رَمَادِ الحُرِيَة الذِي أغرَقَهُم بِالدِمَاء، لِيُعَالِجَ عُيُونَهُم بِكُحلِ المجزَرة الكِيمَاوية في الغُوطَةِ الشَرقِية في: ١٢ آبْ ٢٠١٣ م، لِيحصُدَ ١٤٦٦ رُوحَاً خِلالِ سَاعَة وَاحِدة بِلا ضَمِيرٍ ولا شَرَفٍ جُلُهُم مِنَ الأطفَالِ والنِسَاءِ والعُزَل، والعَالم كُلَهُ غَارقاً في سُبَاتٍ خَلفَ شَاشَاتِ السِينَمَا والمَلاهي الليلية يَحتَسِي نَخْبَ مَوتِنَا، إنَهُ عَالمٌ كَاذِب مِنَ الطِرازِ الرَفِيع، وزَعِيق البِيتِ الأبيَض يَصِيحُ في صَبَاحَ المِجزَرة المُبَارَكة بِالتنديدِ والاستِنكَار،

إنَهَا لَيسَت أروَاحٌ أمرِيكِية لتُخَلِصوا البِلاد مِن الاستِعمَار البَعثِي بل إنَهَا أروَاح على حَافَة الوَرق وأرقَام لَيسَ بَينكُم وبَينَهَا إلا عَداوة في الدِينِ والنَسب،

غَربٌ أمِيرِكِي مُفلس، يَنهَقُ بِالحُرِية وهُوَ شَرِيكٌ في القَتلِ والإرهَاب، فَهوَ المُخَدِر المُنَدِد الوَحِيد على كَوكَبِنَا ذَلِكَ البِيت الأسوَد والحَاشِية النَازِية الشَرِيكة بِكُلِ مَا يَجري في هَذا العَالم،

تَدَعِي السَلام والدِفَاع عَن الحُرية وتَضُخ الإرهَاب والذُعرِ في العَالم وتَصَنعَ الأسلِحة وتُسوّقه للنَازيينَ والإرهَابيينَ بِكُلِ وَقَاحة في آنٍ واحِد، وتَمتلكُ مِنَ الثَروَاتِ المَنهُوبة والأقنِعَة الحَنُونَة مَا يجعَلُكَ تَقُول في وِجدَانِكَ بِأنَهَا المُخَلِص المَلائِكِي للبَشَرِية والقِدِيسَة بِجَنَاحَيهَا البَيضَاء التي سَتُقِذُ هَذِهِ البَسِيطَة.

الحُرِيَة لَيسَت كَلِمة تُقَال وحَسب، بَل أرضٌ تُحرَق وشَعبٌ يُقتَل، إنَ ثَمنَهَا غَالٍ وأغلى مِمَا يستُوعِبَهُ عَقلك، قُل لي وَطَنٌ يَنعَمُ بِالحُرِية سأقُولُ لَكَ كَم مِن دِمَاءٍ أُرِيقَت مِن أجلِ استِقَلالِهِ.

[٧]

قِيل لِنَابليون يومَاً:

إنَ الجِبال الشَاهِقة تَمنعُكَ مِنَ التَقدم، فَقَال:

يَجِيب أن تَزُولَ مِن الأرض.

نَابليون بونابرت

ياسَمِينة،

والبَطَالة في شَرقِنَا المُغتَرِب،

آفَاتِ الفَرَاغِ في أحضَانِ البَطَالةِ تُوَلِدُ آلافِ الرَذَائِلِ، وتَختَمِرُ جَراثِيمِ التَلاشِي والفَنَاءِ، إذا كَانَ العَملُ رِسَالةِ الأحيَاء فَإنَ العَاطِلِينَ مَوتَى.

مُحَمَد الغَزَالي

قُل لي كَم عَاطِل عَن العَمَل في مَديتَتِكَ، أقُولَ لَك كَم لِصٍ يَجثُمُ بِهَا ويَمتَصُ رَحِيقِهَا، الوَطَنِ العَرَبِي، بَلد المِليُون عَاطِلٍ عَنِ العَمَلِ، خَيرَاتٍ وَفِيرة وثَرَواتٍ في البِحَار وتَحتِ الأرضِ وفَوقَهَا لا تُعَد ولا تُحصَى، تُرَابٌ خَصبٌ لو زَرَعتَ بِهِ حِجَاراً لَنبَتت، مُحِيطَاتٍ شَاسِعة، الأسمَاكُ فِيهَا تُشبعُ كُلَ القَارَاتِ، نِفطٌ تَحتَ الثرى لو أُخرِجَت لَغَرِقَ الكَونُ بأكَمَلِهِ بِالحَضَارةِ والتَمَدُنِ، وغَابَاتٍ إلى مَا ينتَهي إلِيهِ النَظَر، وجِبَالٍ يَخلُدُ في شُقُوقِهَا الذَهَبُ واليَاقُوت، وتَاريخٌ سِيَاحِي قَد هَزَمَ كُل حَضَارَاتِ الغَربِ، ومَع كُلَ هَذِهِ الفَورة الغَارِقة بِالخَيرَات ثَمَةَ أمواَجٍ على هَيئةِ فَيرُوسٍ تَجتَاحُ شُبَانَنَا إلى الضَيَاع إنَه شَيطَانُ البَطَالة،

وقَبلَ أن يَشرعَ قَلَمي في سَردِ تِلكَ المُواجِع المُفجِعة التي تَسْتَأصِلُ شُبَانَنَا تَتَبع آثَارَ الحِبرِ التي تَدُلُكَ إلى العَاصِمَة دِمَشقَ، في تِلكَ العَاصِمَة المُنهَكَة بِالفَسَادِ المُستَبِد قَدِمَ ذَلِكَ الفَأر النَجِس مِن أصُولٍ هِيَ أقرَبُ لِلُقَطَاءِ نَسَباً إنَهُ رَجُلِ الأعمَالِ السُورِي كَمَا يَحلو للمُطَبِلِين أن يلقّبونه وابنَ خَالَةِ الأسَدِ الابِنِ: رَامِي مَخلُوف.

فَهُوَ أحَدِ كِبَارِ القِدِيسِينَ في السَرِقَة والاحتِيَالِ والكَذِب، فَلا بُدَ للدُولة أن تَضَعَ لِصَاً واخطبُوطَاً شَرِساً لِلتَصفِيَاتِ الاقتِصَادِية على رُؤوسِ الطَامِحِينَ والتُجَارِ وأصحَابِ الثَرَوات، وقَد نَجَحت الحُكُومَة بِإعطَائِهِ كُلِ الأضَواءِ المُخَابَرَاتِية والهَيبَة والعَظَمَة لِكَونِهِ الكَلب المُدلَل لَدَى الطَاغُوتِ الذِي يَحكُمِ البِلادِ، ولِأنَ

اسمَهُ رَامِي فَقَد حَازَ كُلَ المَرَاتِبَ العُليَا للرِمَاية، أُعطِيكَ أمثِلَة وَاقِعِية، فَهُوَ الأَوَلُ على مِستَوى القِطر بِرمَايةِ الشِبَاكِ التَسَلُطِية والرِمَاحِ التَعَسُفِية، لَقَد وَضَعَ ذَلِكَ السَارِق بِمَخَالِبِهِ على خَزِينَةِ الدَولة كَمَا أَنَهُ المُتَحَكِم الوَحِيد بِاقتِصَادِ الاتِصَالاتِ السِلكِيةِ واللاسِلكِيةِ والنِفطِ والغَازِ والتَشِييدِ والخَدَمَاتِ المَصرِفِيةِ وشَرِكَاتِ الطَيَارَانِ والتَجزِئةِ وهُوَ المُنَافِس الوَحِيد الذي لا شَرِيكَ لَهُ في كُلِ مُنشَئة تِجَارِية، يُقَاسِمُ التُجَارِ والصُنَاعِ والحِرَافيينَ أربَاحَهُم عِنوَةً عَنهُم ولو بِالقُوة، وبالضَغطِ والهَيبَة يُجَرِدُ كُل شَخصٍ يَأبى مُشَارَكَتَهُ، فَفِي مَكتَبِهِ تُهَمٌ مُلَفَقة لِكُلِ صَاحِبِ مَالٍ أَرَادَ مُجَارَتِهِ أو مُنَازَعَتِهِ، والسُجُون غَارِقَة بِالمَظَالِيم لو نَطَقت لأوقَفَت المَجَرة عَنِ الدَوَرانِ،

ويَأتيكَ رُوبيضَة شَبعَان مُنتَفِخَ الفَسَاد مُتعجرِفَ الاستِبدَاد أولادُهُ يُقِيمُونَ في الوِلايَاتِ المُتَحِدة وزَوجَتُهُ تَتَسَوقُ في شَوَارِع: الشَانزَلِيزِية، ودِي رِيفُولِي البَارِيسِية، وبَنَاتُهُ السَائِحَات في مُجَمَعَات: اوْاتْ لِيت. في مِيلانُو يَتَبَضعنَ بِآخِرِ صَرعَة أُرُوبِية لِهَذِهِ السَنَة، لِيقُولَ لك:

يَا أَخِي أنتُوا كِنتُوا عَايشِين بسُورِيا ليش اعِملتُوا ثَورة!!!

قَلَمِي لَن يُجِيب عَلى سُؤَالِهِ،

ولَكِن أَقُول أَنَا لن أقبَل بِكَلبٍ شَبَعان أن يُسكِت جُوعي.

يا شُبَان أمَتِنَا يا مَن ألبَسَكُم الزَمَان رِدَاء البَطَالة ورَكِبَكُم شَبَحَ الفَقر أنتُم تَعلَمُونَ عِلمَ اليَقِين بِأَنَ في تِلكَ البِقَاعِ المُنهَارة عُرُوبَةً جَربَاء مُختَنِقَة بالأمرَاضِ الطَائِفِية المَهتَرِئَة بِقَوَانِينِ الفَسَاد، ويَجثُمُ في كُلِ عَاصِمَة رَامِي مَخلُوف، فَفي كُلِ دَوَلة عَرَبِية هَنَاكَ رَامي مُحتَرِف بِقِنَاعٍ بَرمَائِية ينهَبُ ويَسرِقُ ويقتُلُ على حِسَابِ نُجُومِهِ الوَطَنِية، ليسَ خَوفاً على اقتِصَادِ البِلادِ بَل خَشيَة مِن سُقُوطِ قِنَاعِهِ وظُهُورِ عَورَاتِهِ، فَرُمَاة الاقتِصَاد المُكَلَفِينَ من فخَامَةِ وجَلالَةِ وسِيادَةِ رُؤساء

ومُلوكِ وأُمَرَاءِ العَرب عَجَلَ اللهُ هَلاكَهُم وأَرَاحَ العِبَادَ مِن نَذَالَتِهِم لُصُوصاً شَرِهَة قَد فَاقُوا في السَطوِ والنَهبِ والسَرِقة على اللِصِ العَالِمِي المَشهُورِ: تشَارلز آثر فلُوِيد. المُلَقَب بِالوَالَدِ الوَسِيم، فَلَقَد استَطَاعَ تشَارلز أن يَخترِقَ الحِسَابَاتِ البَنكِيَة بِكُلِ سُهُولة، ولَكِن الفَرق بين تشَارلز والرُمَاة العَرب قَدسَ الرَبُ سِرَهُم أنَ الرُمَاة يَسرِقُونَ بِاسمِ القَوانِين لحَشوِ خَزَائِنِهِم الشَخصِية واللصِ تشَارلز يَقُوم بِالسَرِقة لِكي يُسَاعِدَ المَديُونِين مِن التَخَلُص من دُيُونِهِم وبِهَذَهِ الإنجَازَات أحبَهُ المُواطِنِينَ الأمرِيكِيينَ على الرَغمِ مِن كُونِهِ لِصاً وسَارِقاً، فَشَتَان بِينَ اللِص رَامِي السُوري وتشَارلز الأمرِيكِي.

يا رُمَاةَ العَرب، يا لُصُوصَ أمَتِنَا العَرَبِية، يا قُطعَانِ النِعَاجِ مِن المُلوكِ والسَاسَة في جَامِعَتِنَا العَرَبِية التي تحكُمِنا تَعلّموا مِن لُصُوصِ الغَربِ كَيفَ المَحَبة بِينَ اللِصِ والشَعبِ تَكمُن، فأنتُم تَسرِقونَ لتَدعُوا عَلِيكُم الشُعوبِ بينَ كُلِ صَلاة وقِداس ولُصوصَ الغَربِ يسرِقُونَ لتَرتَفِعَ الدَعَوات بِأن يُوَفِقَهُم الرَبُ لِخدمَةِ الشَّعبِ.

يا أيُهَا العَاطِلِينَ عَن العَمل،

شُبَاناً وشِيباً، فُقَراءً ومَسَاكِين،

أَخَواتِ الإنَاث صَاحِبَات الشَهَادَات المُبَروَزة على جُدرَانِ الانتظَارِ، فِتيَانِنَا الجَامِعِيينَ مَن انتَهى مِنكُم ومَن لم يَنتَهي مِن مَرَاحِلِهِ الدِرَاسِية، سَادَتِي أصحَابِ الاختِصَاصَاتِ العُليا بَالبطَالةِ والنَّوم، فَخَامَة رُمُوزَ الكُوادِرِ الجَبَارة التي تَعمَلُ في المَطَاعِمِ والمَقَاهِي، أصحَابَ المَعَالي البَاحِثِينَ عن الوَظَائِفَ التي تَقِيكُم أعَاصِير التَسُولِ، زُهُورَ أمَتِنَا الذِين يَقطَعُونَ أوقَاتِهِم في الطُرُقَاتِ وعلى الأرصِفَة وفي المَقَاهِي، أُبَشِرُكُم بِأنَ أوطَانَنَا قَد احتلَهَا القَادة والعائِلات المَالِكة للبِلادِ، حَتى جَعلَتنا غُرَبَاء في قَعْرِ دَارِنَا، كَمَا أَنَنَا كَشُعُوبٍ مُروَضة على الذُلِ

والمَهانة أضحَينَا أرقَامَاً قَابِلَة للضَحِكِ والشَمَاتَة أمَام شُعُوبِ العَالمِ بِأسرِهِ، نَحنُ أكثَرُ شُعُوبِ الكَونِ في تَعَاطي المُخَدِرَات وتِجَارَتِهَا، وأشرَهُنَا التِهَامَاً للسَجَائِر والمَشرُوبَاتِ الكُحُولِية، عَاطِفيُونَ مَع دُعَاة الإرهَابِ والفِتَنِ، يَحُكُمُنَا أكثَرِ مِن خَمسَةِ عَشَرةِ كَبشًا وتَستعطِفُ قُلوبِنا الضَعِيفة أكثَرُ مِن ثَمَانِينَ طَائِفة، وكُلِ الصُحُفِ السَمَاوِية والتبشِيرية نَزَلت على أرضِنَا، وأنبياء الرَبِ ورُسُلِ الله مِن بَني جِلدَتِنَا، والفسَاد السَرَطَانِي يَسرِي في عُرُوقِنَا، ومَع كُل هَذِهِ السَرِقَاتِ والفَسَادِ المُتوارَثِ في البِلادِ تَقولُ لي في آخِرِ المَطَافِ:

أينَ البَطَالة !؟

لَن أسُوقَ لَكَ آخِرَ الإحصَائِيَاتِ التي وَصَلت إلِيهَا بَطَالَتَنَا أيُهَا القَارِئ حتى لا تَفقِدَ شَهِيَةَ القِرَاءَةَ، ولَكِن سَأقُولُ لَكَ أبيَاتَاً نَحفَظُهَا على أمَلِ أن نُطَبِقُهَا:

إذا الشَعبُ يَومَـا أرَادَ الحيَـاة ... فَلا بُـدَ أنْ يستَجِيبَ القَـدَر
ولا بُـدَ لِليـلِ أنْ ينجَلـي ... ولا بُـدَ للقيـدِ أنْ ينكَسِـر
ومَن لم يُعانِقـهُ شَـوقُ الحَيَـاة ... تبَخَـر فـي جَوهَـا واندَثَـر
كـذَلِكَ قَالت لِي الكائِنَـات ... وحدَثَنِـي رُوحَهـا المُستَتِـر

[٨]

لا يكُون الحِفاظ على الوَطن بِالتَغنِي بِهِ بِبَعضِ القَصائِد أو الأغَاني، وإنَما بالدِفاعِ عَنهُ بِكُل الطُرق المُمكِنَة للعَيشِ بِشرفٍ وطَمأنِينَة.

جَاكلِين كاري

ياسَمِينة،

والوَطَن الهَش.

إنَني أحِسُ على وَجهي بألمِ كُلِ صَفعة تُوجّهُ إلى كُل مَظلُومٍ في هَذِهِ الدُنيَا، فَأينَمَا وجِدَ الظُلم فَذَاكَ هُوَ وَطَنِي.

تِشي جيفَارَا

وَطَنٌ اسمٌ مِن ثَلاثَةِ أحرُفٍ،

لِكُل حَرفٍ حِكَاية تُصِلُكَ إلى الحَقِيقَة،

فَالوَاو: قَسَمٌ مُتَصِلٌ بِكُلِ مُحِبٍ لِتلكَ القَطعة التُرَابية،

و الطَاء: طَرِيقٌ مُعَبَدٌ بِأحلامِ والأمَانِ والاستِقرَارِ على تِلكَ البُقعة،

و النُون: لَحَدٌ مَكنُونٌ نَدفُن بِهِ جُنُونِنَا، حَيثُ لا جُنُون يَعلو فَوقَ جُنُونِ الوَطن.

كُلِ أسرَابِ الطُيورِ وقُطعَانِ الغُزلانِ ومَواشِي الزَرَافَاتِ وحَتى البَشر في أوطَانِ الغَربِ مَحمُومِين بالحَنِين إلى أوطَانِهِم، يُتفَاخِرونَ بِتَارِيخِهِم ومُستقبَلِهِم مُتَبَاهِينَ بِتَمَدُنِهِم وحَضَارَاتِهِم يُودِعُونَ أوطَانِهِم بِدُمُوعِ الفِرَاق ويَعُودُونَ إليهَا بِأحمَالٍ مِنَ الشَوقِ، نَاهِيكَ عن ذَلِكَ الحُبِ لِرُذَاذِ تُرَابِهِم، إنَهُم عُشَاق مِنَ النَخبِ الرَفِيع حبٌ وَطَنِي مِنَ الطِرازِ العَالي الجَودَة، فَالوَطنُ في عَقِيدَتَهم ليسَ عِيداً يَمرُ بِهِم كُلَ سَنَة ولَيسَ ذِكرَى سَنَوِية تُطلَقُ فِيهَا المُفرقَعَات والهُتَافَات.

هَنَاك أوطَانٌ تُبَاهِي بِكَ إنْ قَدستَهَا وطَرزتَهَا بِالحَضَارة والرُقِي، وهنُاكَ أوطَانٌ تَتَبَرءُ مِنك إنْ أهنتَهَا بِسَرِقَةِ خَيرَاتِهَا وجَعلتَهَا صَفقَة تُبَاعُ وتُشتَرى لُقُطَاعِ الطُرُق، عِندَمَا اسمَع بِقُطَاعِ الطُرق يَنتَابُني غَصَة بِمَشَاعِري الوَطَنِية، هَل سَمِعتَ بمَدِينَةِ الجُولانِ المُحتَلِ يَومَاً مِنَ الأيَام !؟

إنَهَا مَدِينَة سُورِيَة تَقَعُ في جَنُوبِ البِلادِ بِينَ نَهرِ الأُردُن وجَبَلِ الشَيخ، مِن أجمَلِ المُدنِ السُورِية مَنَاخِيَاً وطَبِعِيةً، قَالوَا لَنا أو دَعنِي أقُولُ لَكَ بِأنَهُم كَذَبُوا عَلِينَا في التَارِيخِ الذِي أقَرهُ حِزبِ البَعثِ العَرَبِي الاشتِرَاكي بِأنَ الاحتِلالِ الإسرَائِيلِي في عَامِ ١٩٦٧م. قَد قَدِمَ على احتِلالِ تِلكَ البِقَاعِ عُنوة كَمَا أنَ الجَيشِ العَرَبِي السُورِي حَاوَلَ استِردَادِ الجُولانِ المُحتَلِ ولَكِن للأسَفِ لم يَستَطِيعوا فِعَلى شِيءٍ.

Bravo

مَشَهَد أكْشِن مُلفَق مِن تَارِيخِنَا السَخِيف،

فَلَقَد صَفقت الأحذِية لِمُخرِجِهِ، وبَصَقَ الزَمَانُ في وجُوهِ الكُومبَارس، وبَالتِ الأيَامُ على أسمَاءِ المُنتِجِين، سِينَاريو بِدِقَة مُتَنَاهِية لِخِدَاعِ الشُعُوبِ العَرَبِية بِرُمَتِهَا، مِن بُطُولَةِ وإعدَادِ وتَألِيفِ الثَعلَب حَافِظَ الأسَد وإنتَاجِ وإخرَاجِ الاحتِلالِ الإسرَائِيلِي، فَكَانت الضَحِية الحَقِيقِية أُنَاسٌ مِن لَحمِنَا ودَمِنَا يَجمَعَنَا بِهِم أخُوةَ التُرَابِ والهَوَاءِ إنَهُم أهلُ الجَولَان الشُجعَانِ، لَقَد عُقِدَت صَفقَة بَيعٍ تَحت طَاوِلةِ الخِيَانة في لَيلَةٍ غَابَت فِيهَا الأمَانَة، ثَعلَبٌ مَكَار مِن عَائِلة الحَمِير المُرَوضة يَبِيعُ وَطَنَاً طَاهِرَاً تَغنَت الأجيَالِ بِتَمجِيدِ تُرَابِهِ، ولِبَقَاءِ شَبَحِهِ يَأتِينَا كَبُومَة في نَومِنَا ويَقَظَتِنَا، ثَعلَبٌ مُرَاوِغ ابتَاعَ وَطَنَنَا للأعدَاءِ خَوفَاً مِن سُقُوطِهِ أو زَوَالِ سَطوَتِهِ، ولم يَرتَوي مِن أفلامِ ومَشَاهِدِ الأكشِن وحَسب، حَتى العَقَائِد ودورِ العِبَادة والسِياحة بِكَافَةِ مَذَاقَاتِهَا بِيعَت إلى البُعبُع الفَارِسِي أو مَا تُسَمَى حُكُومَةِ إيرَانِ الطَائِفِية خَلَصَ اللهُ الكَونَ مِن تَسَلُطِهَا، والغَازُ والنِفطُ لم نَسمَع بِه أبَداً فَهُوَ يَنبُعُ مِن أبَآرِينَا ويَصُبُ في بِقَاعِ العَاصِمة الرُوسِيةِ مُوسكُو المُبَارَكة،

و إذا سَألتَنِي كَيفَ حَدَثَ ذَلِك !؟

سَأقُولُ لَكَ:

اسألِ الحِسَابَاتِ الوَهمِيةِ والأموَالِ المُكَدَسَةِ في بُنُوكِ الغَرب للعَائِلة المُحتَلةِ

للبِلادِ، وَطَنٌ مَسلُوبٌ مَنهُوبٌ تَتَهَافَت الدُول الجَائِعة على إخمَادِ نُورِهِ ويَأبَى الوَطَن إلا أن يُتِمَ نُورهُ ولو كَرِهَ المُعتَدِين، والله لَو شَقَقتَ عَن صُدُورِنَا لَوَجَدتَها تَحتَدِمُ غَضَباً وَلكِنَ الرُعبَ أجَمَ غِيظِنَا ودَحَرَ ألسِنَتِنَا، حُبُ الوَطَنِ بِالنِسبَةَ لَنَا أضحى تَأشِيرةَ تُخرِجنَا مِن هَذَا المُستَنقَع الغَارِق بِوَحِلِ الفَسَاد، أو طَائِرة أو بَاخِرة تَحَلِقُ أو تَعُومُ بِأحلامِنَا إلى أوطَانٌ أُخرى تُعَظِمُ أو تُجِلُ إنسَانِيَتِنَا، ورَبُ المُحِيطَاتِ والسَمَاواتِ لن نُبَالِي إن سَقطنَا أو غَرِقنَا ولَكِن مَا يُهمُنَا بِأَنَنَا مُتنَا كِرَاماً،

فَلَقد أضحَت عَقَارَاتُنَا العَامة عُرضَة للنَصبِ والنَهبِ وباسمِ الاستِثمَارِ والتِجَارة والمَصلَحة العَامَة واقتِصَادِ البِلادِ يُبَاعُ تُرَابِنَا للغُرَبَاء تَحتَ حَصَانَاتٍ وأقنِعَة دَستُورِية تَخدِمُ مَصَالِحَهُم، وكَونِي مُواطِنَاً مُخضرَماً أمَضى فُتُوَتَهُ في الزَوَابِعَ العَرَبِية وشَبَابَهُ على أمواجِ الأحلامِ الغَربِية أدعُوا مَعَالِي وفَخَامَةِ لُصوَصَ الغَربِ بِأن يَحزِمُوا حَقَائِبَهُم ويتَجِهُوا إلى مَطَارِ الجَامِعَةِ العَرَبِية لِتَعَلُم فَنِ اختِلاسِ الأوطَانِ ونَشْلِ خَيرَاتِهَا،

هَنِيئَاً لَنا بِجَامِعَة ضَمت كُلَ الحَرَامِيةَ تَحتَ قُبَةٍ تُمطِرُ خُبثَاً، هَنِيئَاً لَكُم أيُهَا الحُكَامِ العَرب بِتِجَارَتِكُم بِبِضَاعَتِكُم وأربَاحِكُم،

سَأشرَبُ مَعَكُم نَخبَ عُرُوبَتِنَا،

بل نَخبَ الاختِلاسِ،

نَخبَ الإفْلاسِ،

نَخبَ الوَطَن،

نَخبَ بِيعِكُم،

نَخبَ تَجَمُعِكُم،

نَخبَ تَشتُتِنَا،

نَخبَ الاحتِلالِ الإسرَائِيلِي ودَمَارِ العِراقِ وتَجوِيعِ الصُومَالِ وتَقسِيمِ السُودَانِ وتَشتِيتِ لُبنَان، نَخبَ خَيبَتِنَا وفَقرِنَا ورَجعِيتِنَا وتَشَرُدِنَا وقَهرِنَا، نَخبَ زِنزَانَاتِكُم ومُنفَرِدَاتِكُم وسُجُونِكُم ومُعتَقَلاتِكُم، نَخبَ قُصورِكُم وبُنُوكِكُم وسَرِقَاتِكُم ومُنتَجَعَاتِكُم،

سَنشربُ حَتى ننسَى،

لَقَد قَال جُبرَان خَلِيل جُبرَان:

أعطِنِي النَاي وغَني... فَالغِنَاء سِرُ الوجُود.

و جُنُونِ سَكرِنَا يَقُول:

أعطِنِي الكَأسَ ودَعنِي... فَالوَطَن سِرٌ مَفقُود.

نُرِيدَ أن نَنسَى كَم أُهِنَا وقُهِرْنَا وسُجِنَا وضُربنَا، ورَبُ نَخبِنَا لَخمرَة في أقدَاحِ انكِسَارَاتِنَا أرحَمُ مِن العَيشِ في أوطَانٍ يَتَربَعُ حُكَامِ العَرَبِ على عُرُوشِهَا،

نُرِيدُ أن نَنْسَى عَمَائِمَكُم ورَبطَاتِ أعنَاقِكُم وأشمِغَتَكُم وسَرَطَانِ صُوَرِكُم وتَمَاثِيلَكُم الجَاثِمة في حَلقِ كُلِ شَارِعٍ وزُقَاق يا أربَابِ البِلادِ وقُهَارِ العِبَاد.

الوَطَن،

و أنَا أسِيرُ في شُوارِعَ المَهجر وأستَمعُ للأغَانِي الوَطَنِية في المَقَاهِي الغَربِية، يَنتَابُ سَمعِي غَصَة أشتِيَاق للوَطِن الأُم أكَادُ أتَشرْدَق بِالحَنِينِ والعَجزِ والهَزِيمَة،

لَيس لَنَا سِلاح إلا القَلم تُهَاجِمُنَا الأفكَارُ فَنَهجُمَ على الوَرق مِن كُلِ الزَوَايَا لنكتُب تَارِيخَهُم الإجرامِي، فَكَم كُنَا نَتَمنَى لو كَانوا قَادَةِ الوَطن العَرَبي أوراقاً صَحَفِية قَسَماً لَنُمَزِقَنَهُم ولنَحرِقَنَهُم ولننثُرنَ رَمَادَهُم سَماداً لِحَضَائِرِ الكِلابِ حَتى تَشفَى قُلُوبِنَا.

[٩]

المَالُ يَستُر رَذِيلة الأغنِياء، والفَقرُ يُغَطِي فَضِيةِ الفُقَراء.

عَلي بن أبي طَالب

ياسَمِينة،

و الفَقر الذِي يَحصِدُ الرُؤوس،

ذَاتَ صَبَاح وَقَفَ الأدِيب الكَبِير وأستَاذَنَا الرَاحِل: نَجِيب مُحفُوظ على الإشَارَة المُرُورِية الحَمرَاء في أحَدِ شَوَارِعِ القَاهِرةَ بِسِيارَتِهِ القَدِيمَة التي يُرثَى لهَا، ووَقَفت بِجَانِبِهِ الرَاقِصة المَشهُورة: فُوفُو، بِسِيَارَتِهَا الفَخمَة التَبَرُج، فَنَظَرَت إلى الأدِيب وقَالت لَهُ:

شُفْت يا أُستَاذ نَجيب.. الأدَب عِمل فِيك إيه !؟

فَأجَابَهَا على الفَورِ قَائِلاً:

و شُفتِ كَمَان قِلةِ الأدب عِملَت فِيكِ إيه !؟

كُلِ الدُوَلِ المُتَقَدِمَة التي تَتَسَابَقُ إلى جُنُونِ التَمَدُنِ والازدِهَارِ قَد أغمَدَت سُيُوفَ الفَقْرِ بِبَسَالَة، لأنَ الفَقرَ في مِضمَارِ المُنَافَسة عِبَارة عن حَلَبَة يَتَصَارَعُ عَلِيهَا قَادِاتِ الحَضَارَاتِ، وكَمَا أنَ الغَربَ نَجَحَ في طَمسِ فَيروسِ الفَقرِ كَذَلِكَ القَادَة العَرب نَزَعَ اللهُ سُلطَانَهُم نَجَحُوا في إعَادةِ الشُعُوبِ إلى التَصَحُرِ والتَقَشُفِ حَتى عَادَ بِنَا الزَمنِ إلى الجَاهِلِيةِ، لَقد كَانُوا قَادَتَنا ولا زَالوا الأبو الشَفُوقِ للرَعِية والجَلادِ المُستَبِدْ لِصمتِ الشَعبِ المُبكِي، فَمِنَ أدَواتِ: المِيك آب، والمَسَاحِيقِ الدِكتَاتُورِيةِ التي يَتَزِيَنُونَ بِهَا كَقِنَاعِ للعِلمِ وللمُعَلِمِ الخَلُوق، وعَلى سَبِيلِ المِثَالِ كَوَطَنِي سُوريَا، كَانُوا يُرضِعُونَا مِنَ الشِعَارَاتِ القُومِيةِ مَا يُوحي لَكَ بِأنَنَا أُمَةً لا يهزِمُهَا جُوعٌ ولا يَكسِرُهَا فَقرٌ، فَكُنا نُرَدِدُ في كُلِ بُزُوغِ شَمسِ الهُتَافِ المَعروفِ:

أمَة عَرَبِية وَاحِدة.. ذَاتَ رِسَالة خَالِدة.

طُزْ.

تَعرف لِمَنْ هَذِهِ الطُّزْ !؟

لَيسَ لَك أيُّهَا الأدْب العَرَبِي، بَل لَقَدَرِنَا الذِي يَتَسَلَلُ مِن ثُقُوبِهِ سُمُومَ قَادَتِنَا أرَاحَ الله الأُمَة بِهَلاكِهِم، على أكوَامِ التَنَاقُضِ في وَطَنِنَا العَرَبِي هُنَاكَ بَلَدٌ طَيبَ القَلبِ طَاهِرَ النَبْضِ يُقَالُ لَهُ السُودَان فِيهِ مِنَ الفَقرِ مَا يَسُدَ قَابِلِيَتِكَ للقِراءة فَقَد أحصَى العُلَمَاء بِأنَ نِسبَةَ الفَقر في تِلكَ البُقعةِ تَجَاوَزت: ٤٦٪ في نِهَايَةِ ٢٠١٠ م. والمَجَاعَات في الصُومَالِ لو نَطَقَت لتَفَلَت على وجُوهِنَا الكَرِهَةِ فَلَقَد تَرَاوَحت نِسبَةِ الفَقر في ذَلِك البَلَدِ الشَقِيق إلى: ٨٢٪ في نِهَايةِ ٢٠١١ م، وفَجَائِعَ الفَقرِ تَلتَهِمُ وَطَنَنَا العَرَبِي بِشَرَهٍ مُخزٍ حَيثُ أفَادتْ المُنَظَمَاتِ الإنسَانِيَةِ بِأنَ أهلَنَا في مُورِيتَانْيَا قد غَزَاهُم الفَقرْ بِرَقَمٍ على شَاكِلَةِ بَصْقَة في وَجهِ العُرُوبَة كَمَا أكَدت وَكَالاتِ الجُوعِ العَالَمِيَة لِتَصِلَ الإحصَائِيةِ إلى: ٤٥٪ في عَامِ ٢٠١٥ م. كَمَا أنَ البَنْكَ الدُوَلِي في اليَمَن حَذَرَ مِن الكَارِثة التي حَلت بِإخوَانِنَا اليَمَنِيين لِيُحَطِمَ الفَقرَ رَقماً قِيَاسِياً بِوصُولِهِ إلى: ٨٥٪ في عَامِ ٢٠١٦ م،

إنَهُم لِيسَ أرقَاماً تَعبْرُ السُطُور فَحَسب، إنَهُم إخُوةَ الدَم والقَضِيةِ، إنَهَا أرقَام تَبعثُ في القُلوبِ رُعبٍ مُبكٍ.

إلى القَادة أكتُب،

حُكَامُنَا العَرب،

لُصوصَ أمَتِنَا والمَثَلْ الأعْلى بِالقَهر،

أُيُهَا النَازِيونْ، أربَابَ المَعَالي، أصحَابَ البُطُونِ المُنتَفِخة، والقُبَعَاتِ الغَادِرة، يا ثَعَالبَنا المَاكِرة، والأقنِعَة التَافِهة، مُلوكَاً ورُؤسَاء، حُكَامَاً وأُمَراءً، شُيُوخَاً وخُلَفَاء، كُهَانَاً وعُظَمَاء، قَبَحَ اللهُ طَلَتكُم وخَلصَ الشُعُوبَ مِن تَسَلُطِكُم، لِكُلِ

ظَالِمٍ نِهَاية ولِكُلِ طَاغِية خَاتِمَة تَليقُ بنِهَايتِهِ، ولِكُلِ شَعبٍ حَدٌّ يُصَبِّرُ بِهِ جُوعَهُ، حَذَاري حَذَاري مِنَ غَضْبِ الشُعوب، فَفِي قَانُونِ الجُوع إذا جَاعَ الشَعب التَهَمَ غَاصِبَهُ، وإذا الشُعُوب جَاعَت سَتَدُوسُ غَاصِبَهَ يَوماً مِنَ الأيَام،

إلى تُقَاتِ أُمَتِنَا،

سَمَاحَةَ العُلَمَاء، وغِبطَةِ الخَوَارِنَةِ، زُهَاداً ورُهبَانَاً، يا مَن لَبِستُم لِبَاسَ التَقوى ولِبَاسُ التَقوى ذَلِكَ خَير، يَامَن نَقلتُم لَنَا نُصُوصَ الحُبِ والحَرب، يَا مَن قُلتُم لنَا على لِسانِ النَبِي مُحَمَد:

مَثَلِ المُؤمِنِينَ في تَوَادِهِم وتَرَاحُمِهِم وتَعَاطُفِهِم مَثل الجَسد الوَاحِد، إذَا اشتَكَى مِنه عُضو تَدَعى لَهُ سَائِرَ الجَسَدِ بِالسَاهَرِ والحُمى .

رَوَاهُ مُسلِم.

ألم تَسُوقوا لَنَا مَا جَاءَ في الكِتَابِ المُقَدَس حَيثُ قَال:

مَن يَرحَمِ الفَقِير يُقرِضُ الرَّب، وعَن مَعرُوفِهِ يُجَازِيه.

سِفْرُ الأمثَال: ١٩: ١٧.

أفتُونَا:

بِرَجُلٍ ألبَسَهُ عِلُمهُ لِبَاسَ الوَرَع، وقَدِ اعتَلى المِنبَرِ المَكِي، مُرتَدِيَاً ثَوبَاً مِن مَاركَةِ الدَفَةِ الذي يَصِلُ ثَمَنُه إلى: ٨٠ دُولار،

وسِروَالِ مَاركَةِ الأصِيل الذي يَبلغُ ثَمَنُه إلى: ٣٠ دُولارَاً،

وشِمَاغ الحَرَمِين الذِي تَجَاوَزَ سِعرُهُ إلى: ٥٠ دُولارَاً،

وسَاعة سويسْرِية بِمَاركَة rolex قَد تَجَاوَزَ سِعرُهَا إلى ٢٠٠ دولار، مُمتَثِلاً أمَامَ المُؤمِنينَ خَاطِبَاً بِهم عَن مَوضوعِ الفَقرِ والجُوع، نَاهِيكَ عن سِيارةِ الجَيمس مِن

نَوعِ: يُوكُون دِينَالِي. التي تَنتَظِر سَمَاحَتَهُ في مِرآبِ الحَرم، بِينَمَا أشقَائَهُ في الدُولِ العَرَبِية غَارِقُونُ في الفَقرِ والجُوع... !!!!؟

بِينَمَا يَتَسَاقط مَسِيحِيو الشَرقِ هُنَا وهُنَاك تَحتَ أنيابِ الجُوعِ، تُرصعُ الصُلبَانُ والقِبَابِ بِالذَهَبِ واليَاقُوت، فَهل يحتَاج الرَبُ إلى الذَهبِ واليَاقُوت يا تُرى أم بِيوتِ الله أصبَحت مَركَزَاً تِجَارِياً وسِيَاحِيَاً... !؟

أفتُونِي يَا أربَابَ العُقُولِ بِحَقِ السَمَاء...!

أُوطَانٌ تَرتَطِمُ في غَيَاهِيبِ الجُوعِ وأوطَانٌ تُجَاوِرُهَا مُنشَئَاتٍ نِفطِية لِحشُوِ الخَزَائِنِ والبُنُوكِ الغَربِية.

يَقول خُبَرَاء جُيولوجيينَ بِأنَ الاحتِيَاطَات السُعُودِية هِي الأكبَر في العَالم ويُقَدر الاحتِياطي المُؤكَد بِحَوَالي: ٢٦٠ مِليَار بِرمِيل مَا يُقَارِب رُبعِ احتِياطِي العَالم مِنَ النِفط.

ودَوَلة خَلِيجِية كَالكوَيت، يُشَكل احتِيَاطِي النَفِط الخَام حَوالِي: ٩٦. مِليَار بِرمِيل، أي قُرَابَة: ١٠٪ مِنَ الاحتِيَاطِي العَالمِي.

و دَولة قَطر تُنتِجُ سنَوِياً مِنَ الغَاز الطَبِيعي المُسَال: ٧٧ مِليُون طُن، ودُولٌ عَرَبِية أُخرى مِنَ العَيبِ ذُكرُهَا هُنَا.

نَحنُ العَرب أخبَثُ خَلقِ الله، نَقتُل القَتِيل ونمْشِي في جَنَازَتِه، وقَد صَدَقَ رَئيس الوزَرَاء البرِيطَاني السَابِق تشِرشِيل:

إذَا مَاتَ العَرب تَمُوتُ الخِيَانة.

فَالعَرب لِيسَ لَهُم صَدِيق البَتَة، صَدِيقَهُم الجَيب والمَصلَحة والمَنصِب، فَلَقَد

نَزَلت الكُتب السَمَاوِية عَليهِم ولم تَنزِل على الغَرب، والحِكمَة مِن ذَلِك بِسَببِ الفَسَادِ الْمُستَعِرِ فِيهِم، ولا زَال التَارِيخُ يُسَطِرُ بِالدِمَاءِ تَصَارُعِهِم، يَقتَتِلونَ بِاسمِ الدِين والأعرَاضِ والعَادَاتِ والتَقَالِيدِ ويَسُوقُونَ نُحُورَهُم إلى المَعَارِك والمَذَابِح والعُقول فَارِغَة مِن الفَهمِ والقُلوب مُمتَلِئة بالحِقد والفَقرُ الذي يَسري في جَدَاوِلَهُم هُنَا وهُنَاك.

نَعم فُقَرَاء ولَكِن لله حِكمة.

[١٠]

عندَما نَسلُب الآخَرين شَرَفَهُم نَفقِد شَرفَنا.

بوبِليليوس سيروس

ياسَمِينة،

و أحلامِ الشْرَف،

إذَا خَانتكَ قِيَمِ المَبَادِئ، فَحَاوِل أنْ لا تَخُونُكَ قِيمَ الرُجُولة.

صَدَام حُسَينْ

كَشَفَت جَرِيدة الرِيَاض التي تَصُدِرُهَا المَملَكة العَرَبِية السُعُودِيَة ذَاتَ سَبتٍ في: ١٤ مَارِس، مِن عَامِ: ٢٠٠٩ م، في العَدَدِ: ١٤٨٧٣.

بِأنَ الحُكُومَة الأُردُنِية وَصَلت إلى ذُهُولٍ تَعجَزُ لهُ الضَمَائِر، مِن جَرَائِمِ الشَرف التي يَرُوحُ ضَحِيتُهَا فَتيَات قَد اكتَشَفَ الطِبُ الشَرعِي أنَهُن عَذرَاوَات، وكَمَا أنَ الإحصَائِيَات الرَسمِية تُشِير بِأنَ عَام: ٢٠٠٠م، قَد حَصَدَ مَا يُقَارِب ١٧ فَتَاة في إطَار مَا عُرِفَ بِقَضَايا جَرَائِم الشَرَف.

وقِصَص كَثِيرة يَدورُ رَحَاهَا حُولَ الإنَاثِ الأُردُنِيات لِيكُونَ المُنتصِر الوَحِيد هُوَ المَوت، لِتدَخِلَ دَائِرَةِ جَرَائِمِ الشَرف بِشَرف، في نَفسِ العَام مِن قَبلِ شَهرَين نَشَرت الصُحُفِ المَحَلِية خَبَراً طَازَجاً يَتَصَبَبُ دَمَاً مُؤنَثَاً بِعَنَاوين مُختَلِفَة والذَبِيحة واحِدة:

شَابٌ يُسَلِمُ جُثَةَ شَقِيقَتِهِ إلى مَركَزٍ أمنِي في العَاصِمَة عَمَان.

كَمَا أنَ التَفَاصِيل قَالتْ:

بِأنَ شَابَاً سَلَمَ جُثَةَ شَقِيقَتِهِ إلى المَركزِ الأمنِي في جَبَلِ الحُسَين، وَسَطَ العَاصِمَة الأُرُدِنية عَمَان مِن بَعدِ أنْ أغرَقَهَا في البَحرِ المَيتِ في غَربِ العَاصِمَة، في أحدَاثٍ إجرَامِية فِيمَا يُعرَفُ: بِالدِفَاعِ عَنِ الشَرفْ.

كَمَا أنَ أفَادَ مَصدَر في الأمنِي الأُردِنِي:

أنَ الفَتَاة: آيَات، البَالِغَة مِن العُمرِ: ٢٠ عَامَاً، قَد أنهَا عُمْرهَا أشقَاؤهَا وشَقِيقَاتها بِغَسلِ شَرَفهم بِقَتلِهَا في أعقَابِ شَكوى زَوجهَا بِأنهَا كَانت على عَلاقَة بِشابٍ آخَر.

آيَات،

شَابة أُردُنِية كَبَقِيةِ الفَتيَات في وَطَنِنَا العَربي الذِي تَحِدَهُ العَادَات العَفِنة والتَقالِيد القَذِرة شَمَالاً، والأدِيان المَحمُومة بِالقتلِ والسَفكِ جَنُوبَاً، أنهُوا حَيَاتَهَا على أدِلة مَبنِية بِالظَنِ والشَكِ، قَتَلوا صَوتَهَا بِاسِمِ الشَرفِ مِن بَعدِ أن أغرَقُوا فَمَهَا بِالدِمَاء، والجَلادُ مِن بَني جِلدَتِهَا جَمَعَهُم رَحِمَاً وَاحِداً وفَرَقَهُم الشَرف، الشَرفُ في العُيونِ العَرَبِية تكمنُ في فُروجِ النِسَاء فَقط، فَفُروج الإنَاثِ بِالنِسبَة للعَرب مُقَدَسة، بَل هِي فَوقَ الوَطنِ والكَرَامة، كَمَا أنَهَا وتُعتَبَرُ سِلعَة تُبَاعُ وتُشتَرى تَحتَ مُسَمَيَاتٍ عِدة كَالمُهُورِ مَثلاً، وقَد قِيلَ بِأنَ الإسلامَ جَاء لإعتَاقِ الرِقَابِ والعَبِيدِ، وإرجَاعِ الحُقُوقِ إلى أهلِهَا، وكَمَا أنَ المَرأة أخَذَت نَصِيبَهَا مِنَ الظُلمِ والقَهرِ في تِلكَ البُلدَانِ لِتشَهَد عَينِي تِلكَ الفُحُولة الغَبِية عِندمَا كُنتُ أتقَلبُ في مَرَاتِعِهَا، وتَحتَ ظِلِ الانفِلات الذُكُوري أخَذَ الرِجَال النَص السَمَاوي كَمَا جَاء في القُرآن:

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ.

لِيتَخِذُوا مِنَ النُصُوصِ الرَبَانِية تَمَرُدَاً لا يَستُوعِبَهُ عَقلٌ ولا يَتَخَيَلهُ مَنطِقٌ، فَقط الرِجَال يَعبُرُونَ الأسِرة بِلى تَأشِيرةَ شَرف، فَلَهُم مِنَ الأسِرة مَا يَشِيبُ لَهُ الشَرف بِحَدِ ذَاتِهِ،

سَرِيرٌ للعِفة مُظَلَلٌ تَحتَ عَقدٍ قَانُونِي يُمَارِسُ بِهِ شَرَهَهُ الجِنسي بِاسمِ اللهِ والعَادَاتِ والتَقَالِيد.

وسَرِيرٍ وَهمِيٌ يَتنَقَّلُ بِهِ كُلَ مَا اشتَهى بِهِ سَافِرة مُتَبَرِجة فَاسِدة مُلتَهِبة بَعِيداً عَن عُيونِ البَشَر لِيكونَ الشَرف المُشَاهِد الوَحِيد لِسِينَارِيو الخِيَانة،

مُجتَمَعٌ كَاذِبٌ ومُخَادِعٌ قَد تَسَرب إلى شَرَاييِنِهِ سُمُوم النِفَاقِ والدَجَلِ، تُرتَكَب فِيهِ جَرَائِمُ الشَرَف في المَواطِن التِي تَدعِي الأسْلَمَة مِنَ هَذَا العَالم المُتَعجْرِف وتَكثُر هَذِهِ الجَرَائِم التي يَعتَقِدُ الأغبِياء بِأنَ الإسلام يَدعُو إلِيهَا، وقَد تَنَافَست بَعضْ الدُول بِجَرَائِمِ الشَرف مِثل: مصر وبَاكِستَان والسُعُودِية ولُبنَان وسُوريا والأردُن وتُركِيا واليَمَن وفِلَسطِين، وبِسَبَبٍ مِنَ الحِمَاية الإجرَامِية المُقَنَنَة التي تُوفِرهَا هَذِهِ البُلدَانِ للقَتَلة إذ أثبَتُوا أنَ جَرِيمَتَهُم كَانَت شَرَفاً.

في حَربِ العِراق واجتِياحِ الكُويت واحتِلالِ فِلسطِين وتَجوِيعِ الصُومَالِ وتَقسِيمِ السُودَان على مَا يَبدو مَاتَ فِيهَا المُعتَصِم وأمَا على أنفُسِنَا جَبَابِرة نَخُور كالكِلاب المَسعُورة نَقتُلُ ونَصِلبُ ونَذبَحُ خُوفاً مِن عِواءِ البَشرِ وفُضُولِهم الغَبي.

مَفهُوم الشَرف في الغَرب،

الشَرف الغَربِي عِبَارة عَن وَطنٍ حُرٍ تَحِدهُ الدِيمقرَاطِية والأمَان حَيثُ تَتَدَافع هَذِهِ الشُعوب لتَتَسَابقَ إلى التَقَدُم بِالعِلم والحَضَارَات، بَشرٌ مِن كَوكبٍ آخَر، دِقة مَتَنَاهِية في العَمَل والجُهدِ، إتقَانٌ مُبهِر بَكَافِة الإنتَاجاتِ، أوطَانٌ مُصَنِعَة تَتَفادى إضَاعَةِ الوَقت، تَسلُق مُخِيف بِالاختِراعَاتِ والإنجَازَات، تَستِيقظ في كُلِ فَجرٍ مَع بُزُوغِ الشَمسِ إلى مَحَطَاتِ المِترو لِتُشَاهِدَ الزِحَامَ بِأمِ عَينِيك، جُيُوشٌ مِنَ البَشَرِ تَتَجِهُ إلى المَعَامِل والمَصَانِع والجَامِعَات والمَدَارِسِ لِحِمَايةِ شَرفِ وَطَنِهِم.

إن كَان شَرَفَهُم بِمسَاحَاتِ التُرابِ التي تُغَطِيهَا الشُوارع المُعبَدة ونَاطِحَاتِ السَحَابِ والسِكَكِ الحَدِيدية، فَهَنِيئاً لَنا بِشَرَفِنَا.

تَعَال مَعي أيُها الغَرب المُتَحَضِر لأعَرفُك على شَرَفِنَا،
مِن أين أبدأ مَعك !!؟
فِلسطِين بِيعَت للمُغتَصِبين تَحتَ قُبَة الجَامِعَة العَرَبِية
العِراق دُمِرَت بِمؤامرة عَرَبِية،
السُودان قُسِّمَت بِمُبَاركة وَطَنِية،
الصُوَمَال جُوِعَت بِدَعَواتٍ تَحريضِية،
سُوريا قُصِفت بِأيادي طَائِفية،
نِفطُنَا في المَخَازِن الأميرِكية، وتُرَابُنَا أضحَى كَعقَارٍ تَلهثُ إليهِ الدُول الغَربِية، وشُبَانُنَا مُخَدَرونَ طَائِفياً وعِرقِياً، أعرَاضُنَا سُبِيت بِاسم الطَّائِفية، واقتَتَلنَا بِاسمِ الله، فُروجُنَا مُقَدَسة وحُدُودُنا مُمَزَقة، تَحكُمُنَا الطَوَاغِيت تَحتَ رِعَاية دُوَلِية، تَارِيخُنَا مُزَور بِالتبَجُح، ورَاسُ مِالِنَا فُروجُ نِسَائِنَا لأنَها مَصدر شَرف بِالنِسبَةِ لنَا.
تَبَاً للأمَمِ شَرفَهَا الفُروج، وجُوعَهَا الجِنس، ومَلَذَاتَها إضَاعِةِ الوَقت، ودِمَائُها مُبَاحَة بِاسمِ الأدِيان،
لَقدْ فَرَ كَثِيراً مِن الطَامِحِينَ العَرب إلى الغَرب بِحُجَةِ الدِرَاسةِ وتَدَارُك مَا ضَاعَ مِن العُمرِ، نَعم وَصَلوا ويَا لَيتَهُم لم يَصِلوا، قَومٌ بِينَهُم وبِينَ الفَسَادِ صِلةِ قَرَابَة بِالدِينِ والنَسبْ، ظَنُوا بِأنَ النِسَاء سَبَايا والسَمر في المَلاهِي الليلِية مِن أعلى دَرَجَاتِ الحُرِية، قَومٌ استبدَلوا لِيلِهِم نَهَاراً ونَهَارَهُم لِيلاً، سَكَبوا الخُمُور بِالكُؤوس، وضَاجَعُوا المُومِسَاتِ على الأسِرة، وقَايَضُوا السَجَائِر بِالحَشِيش والمُخَدِرات، وأزْدَادَ ضَيَاعَهُم ضَيَاعًا، ٨٠٪ مِنهُم يَلُفُونَ على بَعضِهِم كَالقَملِ في الرأسِ، فَالفَاسِد لا يُجَالسُ إلا فَاسِداً مِثلَهُ، أمَمٌ فَرَقتَهُم قَضِية وَطَن وجَمَعتُهم زُجَاجَة نبِيذ وسِيجَارة حَشِيشَة، ومَع كُلِ هَذِهِ الأمرَاضِ العَقلِية سَتَبقى الفُروج

مَصدَرَ شَرَفٍ يَفتَخِرونَ بِهِ مَا دَاموا أحياء،
قُل لي بِالله عَلَيك!!!
مَاذَا تَرجُوا مِن مُجتَمَعٍ يَهِبُ لِسَفكِ الدِمَاءِ مِن أجْلِ الفُروج، ويُصفِق لِمُغتَصِبِ تُرَابِه!!! .

[١١]

جَاءتْ بِوجهٍ كَأنَّ البَدرَ بَرقَعهُ
نُوراً على مَائِس كالغُصنِ مُعتدلِ
إحدى يَدَيها تُعاطيني مْشَعْشَةً
كَخَدِّها عَصفرتُه صْبغَةُ الخَجَلِ.

الوليد بن يزيد

- يَاسَمِينة،
- نَعمْ،
- أنتِي مَدعُوة غَداَ لِنَحتَسِي القَهوة مَعَاً بَعد الظُهر في مَقهَى النُوفَرة،
- بَسْ يا جُوزِيف،
- مَا في بَس غَداً الجُمُعة وأتمَنى أن أنفَرِدَ بِكِ ولَو للَحظة،
- حَسَناً لَكَ مَا تُرِيد،

أعلم بِأَنَهُ يُحبُني بِوَجَمٍ، وأنا أُحبُهُ بِمُكَابَرة،

أنتِ أُنثَى شَرقِية يَعبُرَكِ الصَمْت ويَفضَحُكِ القَلم، ومَع كُلِ هَذِهِ المَعَارِك الدَاخِلِية بَيدَ أنَ كِبرِيَائي يَمنَعني وصَمتي يَقتُلُني وعَينَاي تَهتِكُ بِمَا في قَلبي، أيُ نُوعٍ مِنَ الرِجَال أنْتَ يا هَذَا!

تَسْتَدرجُ بَرَاءة تِلكَ الأُنثَى إلى صُندُوقِكَ المُحكَمُ بِعشْقٍ لم يَنضُج بَعدْ، أنَا التي قَبِلتُ بِمِيعَادٍ بِلا تَرَدُد، أتُرَاكَ تَتَقَصد انتِزَاع تِلكَ اللبْوَة بِينَ طَيَاتِ مَشَاعِري!!

أنَا لَسْتُ يَابِسة رَمْلِية لِتُسهِبَ بِأمواجكَ كَلَمَا لَمحتَ هُدُوء كُثبَانِي، فَكَم مِن رَمَالٍ يَحسَبُها المُتَرَجِلُ على صَمتِهَا صخُوراً ومَا إن دَاسَ على ذَرَاتِهَا لِيقَعَ في فِيهَا صَرِعَاً،

أنَا التي لَم يَرتَعِب قَلَمِي يَومَاً مِن الطُغَاة، أتُرَاني أرتَعِشُ بِلحَظَة وَاحِدة أمَام سَطْوةَ رُجُولَتِك!!

أنَا مَن بَارَزَ جَورِ الرِجَالِ وقَهرِهِم بِكُلِ مَا أوتِيَ الفِكرُ مِن جُرأة، أيُعقَلُ أن أُشَاهِدَ عَواطِفِي مُصَفَدة بِسَلاسِل نَظَرَاتِكَ التي لَم تَعرف مِنَ العِشقِ سِوى عِشقِ الوَطنْ!!

لَمى تَفعل بِي هَكَذَا أيُهَا القَلبْ!

فَأَنَا لَستُ أهلاً لِأخُوضَ مِثلَ هَذِهِ المَلاحِم الغَرَامِية،

أتُرَاكِ جُننتي يا بِنت، هَذَا الزَمَان لِيسَ بِزَمَن الحُب، وهَذِا الوَطَن لِيس أهلاً للغَرَام، لَقد قَرأتُ يَومَاً بِأن:

مِن رَحمِ الأمَلِ... يُولَدِ الأمَل.

و هَلِ الأمَلُ حُب!!

لِمَاذَا الآنْ هَذِهِ المَشَاعِر التي لم أفهَم بَعد مَا دَرَجَة غَلَيَانَهَا تَحتَ حَطبِ القَلب!

ياسَمِينة،

عُودِي لِعَقلِكِ، كَفَاكِ تَفاهَة،

وَلَكِن هَذِهِ لَيسَت تَفَاهة، إنَهُ شِيءٌ في الأحشَاءِ يَشدُ أوتَار آلَاتَهِ لِعزِفَ موعِدٍ خَارِجَ نِطَاق العَملِ الكِفَاحِي للحِزبِ الشُيوعِي،

و هَل أصبَحَ قَلبِي شُيوعِي الهَوى يَا تُرى!!

يُلاحِقُنِي رَجُلٌ يَكبُرُنِي بِشَهَادةٍ جَامِعِية، وأكْبُرُهُ بِقَلَمٍ يتَهاذى مُنتَشِياً على أكتَافِ النِضَال، أيَةُ حَمَاقَة ترتَكِبِينَهَا بِحَقِ السَمَاء لِيُفرِغ مَشَاعِرَهُ بِدَعوة إلى مَقهى دِمَشقِي!!

أحقَاً يَستَخِفَ بِيَ القَدر ، أم الحُب يستَهزِأُ بِيَتِيمَةٍ وَالِدُهَا الكَرَامَة وأُمُهَا الحُرِية!!

هَل أتَصِلَ بِهِ لِأرفُضَ دَعوَتَهُ،

لا، سَيُحَدِثهُ ذَكَاؤهُ بِأنَنِي مُعَقدة ومُتَقَلِبَةَ المِزَاج، ومِثَلَ هَذَا المِضمَار الوَعِر بِحَاجة إلى خِيولٍ فَطِنَة، فَأيَةُ خَيلٍ سَأمتَطِي على دَربِهِ، هُنَاكُ جِياد مُتَقِدة ذَكَاءً تُقُودُ رَاكِبَهَا إلى جَادةِ الوَاقِع، وهُنَاكَ جِياد عَاشِقة قَد أجَمَهَا الغَرام، فَلا تَسمحُ لِمُتطَفِلٍ بِرُكُوبِهَا سِوى مُرَوضِهَا وفَارِسَ أحلامِهَا، هَذِهِ الخُيول المَشتَعِلة جُنُونَاً

بِالذَات لا تُوصِلُ فَارِسَهَا إلا إلى الأحَلام.

و هَل أنَا في عِينِه خَيلٌ عَاشِقة أم جَوادٌ رَصِينة أم لِجَامٌ للتَمَني والتَسَلي أم مضَمَارٍ للشهَوة لِيلتَهِمَنِي لَحماً عُذريًا وأُلقى عَظامَاً بِلا شَرف!

مَهلاً لم نَصل لِهَذِهِ الدَرَجَة مِنَ الهَبَل،

إنَهُ مُجَرد صَدِيق، فَنَحنُ إخوَة بِالنِضَال، رَضِعنَا مَعَاً مِن ثَدي الأفكَارِ المَاركِسِية، ولأنَنَي مُحَرمَة عَلِيهِ في شَرِيعةِ الشُيوعِية فَإنَنَي مُتَأكِدة بِأنَها دَعوة لِقَضَاء وَقت لِتبَادُلِ شِيء مِنَ الأفكَارِ،

يَا عَذْراء،

أُمْ النُور أنجِدِيني يا أُمَاه،

مُنتَفِضَة ذُعرَاً أنَا يا حَبِيبَتي،

خَائِفة مِن تَبَادُل القُلوبِ والمَشَاعِر عِوَضَ مِنَ الأفكَارِ والمَبادئ، صَلِي لي لِتهَدأ هَذِهِ الفَوضى بِينَ أضلَاعِ مَشَاعِري،

أتُرَاهُ مَخَاضُ الكِبرِياء يَتَألم لِيَضع مُولُوداً على شَاكِلَةِ عِشقٍ يا تُرى، أم أضغَاثُ أُوهَام!

كَفَاكِ أحْلام ياسَمِينة.

طَبِيبَ المُستَقبل السَيد جُوزِيف،

مَاذا يَدُورُ في عَقلَك ؟

عَفوَاً بَل قُلَ لِي مَاذَا يَدُورُ في قَلبِي ؟

جَمِيل إذَاً، أخبِرنِي بِلِسَان ذَلِكَ القَلب الذِي يَنبِضُ خَارِجَ مُحِيطِ الجَسَد،

و هل في مَسَامِعِكَ بِئرٍ تَغرَقُ بِهِ الأسرَار،
نَعم، ليسَ فَقط بِئر وحَسب بل بِئرٍ مُعَطَلة وقَصرٍ مَشِيد،
رَائِع إذَاً،
يا صَدِيقي أُحِبُهَا،
هَا هَا هَا... حَقَاً!
هَل هُنَاكْ مَا يُضحِكَك عَزِيزِي!!
أنْا لم أستَجوِبَكَ لِتُسكِتَ ثَرثَرةَ سَمعِي بِكَلِمة،
إذَاً !؟
أنَا أحُبُ أنْ أستَمِعَ إلى تَفَصِيل هَذا الحُبْ،
حَسَنَاً أصغِي جَيدَاً،
ذَاتَ شِتَاءٍ وبِينَمَا أحزِمُ أورَاقي بَعدَ الانتِهَاءِ مِن اجتِمَاع الحِزبِ الشُيوعِي، جَاء ذَالِكَ الصُوتُ كَسَهمٍ شَرقِيٍ مُسَنَنْ العُذُوبة،
- الله يَعطِيك العَافِية أُستَاذ،
- الله يَعَافِيكِ يا رَفِيقة،
- أنا أسمِي ياسَمِينة حَنَا مِن بَاب شَرقي،
و بِشيءٍ مِنَ الحَيَاء الذِي اتضَحَ على مَلامِحِي:
- أهلاً وسَهْلاً يا رَفِيقة ياسَمِينة،
لَقد كَانَ بِهَا مِنَ الجَمَال مَا يَسُدَ جُوعَ هَذا العَالم ومِنَ الكَمَالِ مَا يُخمِدُ الحُروب ومِنَ البَهاءِ مَا يَجعَلَ الحَكِيمَ حَيرَانَاً، تَخَيل يا صَدِيقِي فَإنَنِي مِن نَظَرة وَاحِدة

أُجهِدَت أنفَاسِي لَمِى شَاهَدتُ مِن لَمْسَةٍ رَبَانِية مُكتَمِلةِ الإبْدَاع، فَمَا كَانَ مِن تِلك الزَفَرَات إلا أنْ أرَحِبَ بِهَذَا الغَزالِ الذِي قَدِمَ مِن الجَنَة قَائلاً:

- صَدِقِينِي بِأَنَنِي سُرُرتُ بِمَعرِفَتَكِ وأنْا الرَفِيق:

جُوزِيف حَدَاد مِن بَاب تُومَا والمُحَاضِر في هَذهِ القَاعَة،

- جَمِيل جِداً أُستَاذ جُوزِيف،

- أتَمنى أنْ تَقُولي لِي رَفيق بَدَلاً عَن أُستَاذ يا رَفِيقة،

- حَسَنَا لَقد أرسَلنِي إلِيكَ مَكتب الحِزب الشُيوعِي طَالِباً مِني التُوجهِ إلى القَاعَة التي تُحَاضِر بِهَا وأنا هُنا مُبتَدِئة،

- بِكُلِ سُرور يا رَفِيقة وعلى الرَحبِ والسِعة.

مِن هُنَا ومِن هَذِهِ النَظْرة بَدَأت رِحلَتي في صَحرَاء جَمَالِهَا المُضمَر بِكُثبَانِ الهَوى.

فَقط! .

نَعم ومَاذَا تُريد أيضَاً !؟.

عَفواً سَامحنِي على تَطفُلي، ولِمِى لا تَبُوحَ لَهَا بِحُبكَ !؟

أنتَ مَجنُون، البَوح بِدَايةَ هَزِيمَة، وأنَا مِن هُواةِ مَلاحِم الحُب الصَامِت، فَفِي البُوح انكِسَار لهَيبَةِ الحُب واستِسلام للمَحبُوب وسِيَاط على هَيئة اعتِراف تَجلدُ ضَمِيركَ بِينَ فَينَة وأُخرى، وفي الصَمتِ غَلبة ولَذة تَعرِفُهَا العُيون فقط.

جُوزِيف! .

نَعَم صَدِيقي!! .

شُكَراً لَك أُيُهَا الطَبِيب والرَفِيق العَشِاق.

عَفواً، بِكُلِ سُرُور.

[١٢]

ديمةٌ هطلاءُ فيها وطفٌ
طبقَ الأرض تجرَّى وتَدرّ
تخرجُ الودّ إذا ما أشحذت
و توراية إذا ما تشتكر
و تَرى الضَّبَّ ماهِراً
ثانياً برثنهُ ما ينعفر.

امرئ القيس

١٥ مَارِس ٢٠١١ م
الجُمَعة.
السَاعَة: ٣٠: ١١. ظُهراً.
- ألو،
- أيوَا،
- كِيفْك ياسَمِينة،
- مِين جُوزِيف، تَمَام بَشكُور الله.
- رُبَمَا نَسِيتي المَوعِد صَدِيقَتي !؟.
- لا أبَداً، ولَكِن كُنتُ مَع أُمي في السُوق.
- حَسَنَاً أين سَألتَقي بِكِ.
أينَ ستَلتَقي بِي، لا وَقت لِتَقَعِي في دَوَرَان الحُب، أجِيبِيه على الفَور، الرَجُل يَنتظِر على الهَاتِف حَسَنا.

- على بَوَابة كنِيسَة القِدِيس بُولِس في بَاب تُومَا، بَعد نِصف سَاعة، جَيد !؟..
- حَسَنَاً، بَعدَ نِصف سَاعة مَوعِدُنَا هَنَاك..
تَضَعُ سَمَاعة الهَاتف فِي مَكَانِهِ لِتنزَلِقَ في صَمتٍ بِينَ مَرمَى مِنَ الهَوى،
أ إلي هَذَا الحَرف منَ الهَوى يَنزِلقُ القَلب على مَقرُبَةِ بَابٍ مِن أبوابِ الله لِمَوعِدٍ ضَبَابِي !؟
مَوعِدٍ مَع مَن !؟
مَع رَجُلٍ أم مَع الحُب! .
ارتَدت ثَوبَاً أنقى مِن نَصَاع اليَاسَمِين،

وهَل اليَاسَمين بِحَاجة أن يَلبَسَ البَياضْ في عَاصِمَة حَربُهَا أنتِ وعَدُوهَا بَيَاضُكِ! ،

ومَرَرَت سَيفَ الكُحلِ بِينَ فِردَوسِ جَفنِيهَا لِتَنهَار الأهدَاب في حِدَادٍ دَامِسٍ بِالجَمَال،

لا تَضعِي أحمَرَ الشِفَاه يا آنِسَتي،

لأنَ نَهَم شَفَتاكِ المُخَضب بِنَبِيذِ التُوتِ البَري يُبَرئُ القَاتِلُ ويُجَرمُ الضَحِية في ادِعاءاتِ العِشقِ الأحَمر،

إيَاكِ مِن رَش العُطر فَلقد رَوى الحُبُ في أحدِ رِواياته:

إذَا سَقطَت أنثَى في مَوعِدهَا الأوَل مَعَ الحُب فِإنَ العُروق تُفرِزُ عِطرَاً يُضَاهِي مِسكَ الغُزلانِ البَرِية،

شَرقِيةٌ أنتِ،

اسِمُكِ وَحدَهُ شَمِيمٌ يُسمَى دِمَشق،

فَلا تُبَذِري في العِطر فَإنَ القَلب لا يُحبُ المُبَذِرين،

شَعرُكِ،

آه مِن تِلكَ الظُلمة أيتُهَا المَلِكة،

لا تَشنُقي تِلكَ الخِيوط الحَرِيرية بِوَجَمٍ،

ولا وتُخرِسي تَطفُلِهَا بِضفائِرٍ عَرجَاء لتقتُلِي الدُجنَة،

أسدِلي تِلكَ العَتمَة على أكتَافِ الهَواء الطَلق مُتَنَاثِراً حُراً طَلِيقَاً للحُبِ وللغَرَام،

هَل نَسِيتي شَيئَاً آنِسَتي..!! .

لا.
حَسَانَاً أتَمَنَى لَكِ وَقتَاً مُمتِعَاً.

في ضِيافةِ كَنِيسةِ القِديس بُولِس وبِينَ بَوَابةِ الرِب وأعتَابِ الحُبِ المُكَابِر يَقِفُ جُوزِيف على رَصِيفِ الانتِظار شَاهِراً قَلبَهُ للقَاءِ تِلكَ الفَرَاشَة البَرِية، مُشتَعِلٌ بِهَا حَتى صَمتِهِ الأخِير، يُخرِجُ منْ سُكُوتِهِ سيجَارة التَرقُب لِيُشعِلَ عَقَاربَ السَاعة التي تَلسَعُ مُكُوثَه، إنَهُ دُخَان التَوتُر المُحتَدم مَع زَفَرَاتِ الاضطِراب العَارِي،
أنَا عَاري القَلب،
مُجرَد مِن فَوضَى اللهَفة،
أنثَى لَهَا كُلَ أسمَاءِ الطُيور الجَارِحة تُمَزِقُ ضَعفِي،
و تَهمِلُ مَوعِداً لِتُلقي بِي تَحتَ مَخَالبَ تَجَهُلِهَا،
أيُ فَصِيلٍ مِنَ الطُيورِ أنتِ !؟
أتُراكِ حَمَامة السَلام أيتُهَا المَلِكة، إنْ كُنتِ كَذَلِكَ فَفِي جَوفِي حُربٌ مَع ذَاتي ومَعَكِ أنتِ، بِحَاجة لحَمَامة بَيضَاءٍ لِيحَلَ الحُبُ على أرضِي،
يَا حَمَامَة السَلام النَاصعِ بِالوَلع،
أُهبُطي على قَلبي المُحَتطِبِ عَطَشَاً بِكِ،
تَدَلي على شَفَتاي كَقُطُوفِ الكَرزِ الجَبَلِية،
سُدي بِثَغرِكِ المُتَصَببِ عَسَلاً ظَمأ ثَغرِي الجَافِ،
سَيدَتي،
تَأخَرتي، أينَ أنتِ!

يَا شَهَوتي السِرية ونَشوةَ تَرَصُدي،

أيُعقَل أن تَكُوني هَذِهِ أنتِ ؟

بِمعطَفٍ أبلَجٍ كَالغُيوم اليَتِيمة تَدُور تِلَكَ المَجرة لِسِيرِهَا، وبِأزرَارٍ فِضِية كَتَأجُجِ النُجوم الحَافِية المُتَمركِزة على مِعطَفِهَا، وبحِزَامٍ نَاسِفٍ للقُلوب تَلفُهُ على خِصرِهَا، وبِكَعبٍ عَالٍ فَوقَ الشَهَقَاتِ بِطعَنةِ شَهوة، وبِشَعرٍ مُرتَخٍ يَنطقُ بِكُلِ لُغَاتِ العُيونِ المُكَبلة،

تَخطُو على مَهَلٍ بِينَ الأزِقة العَتِيقة،

آنِسَتي،

يا تُفاحَ خَطِيئتي،

تَرفَقي بِلظَى الأرضِ مِن تَحتِ كَعبكِ المُنِيف،

أجمَعِي كَوارِثَ شَعركِ المُنفَلتِ للهَواءِ الذُكُوري، واحشُدي بَلاءَ عُطركِ في عَقَاقيرِ عُرُوقِ عُنُقُكِ، فَإنَ هَذِهِ العَاصِمة التي تُمَارسَ الحُب في العَتمَة، لا تَقوى على زَلازِلٍ هَذَا الجَمَال بِخَرابِ دَبِيبِهِ، فَإنَ هَذا الزَحف السَاحِر مِنَ الحُسنِ بِحَاجة إلى قَارَاتٍ لِتَتَحمل مَلامِحَكِ البَهَائية،

كَفَى آنِسَتي،

لا وَقتَ لتستعرِضي مُقتَنَياتِكِ الدِيكتَاتُورية الجَمال،

جُوزِيف،

لِمَ هَذِهِ الصَدمَة في نَظَرَاتكَ الصَاخِبة! ،

سِيجَارتُكَ قَد سَطا عَليهَ الرَمَاد، اسحب من دُخَانِهَا الخِتَامي،

آسِف يا صَدِيقي،

جُوزِيف تَمَالك قَلبَكَ يا طَبيبَ القُلوب،

إنهَا تَسيرُ إليك بَل إلى مَوعِدكَ، ها هيَ تَقتَرب، لا تنتَمي لَها بِهَذِهِ الحِدة مِنَ اللَهفة، عَلِيكَ اللهَفة كَم أنتَ ضَعِيف.

مَدَ كفَهُ مُصَافِحَاً رِقَة أصَابعَها، مَدَ مَا تَبقى مِن ارتِباكِهِ في قَبضَةِ لَمَعَانِهَا، كَمَا تُسَلَمُ الأوطَان الثَائِرة أعنَاقَهَا إلى مُغتَصبِيها.

- أنَا آسِف تَأخرت عَلِيك،

- لا أبَداً ولا يهمِك، الطَقس لِهَذا اليوم على مَقَاسِ المَقاهِي الدِمَشقِية، رُبَمَا الأجوَاء مُنَافِقة بِين الخَرِيفِ والشِتاء،

- على العَكس رَفِيق جُوزِيف فَأنَا مَع تَصَالحٍ دَائِمٍ مَع الأجُواء، ولِكُلِ فصلٍ في أحشَائي خُصوصية تَطرد النِفاق خارجَ حُدودِ التَذمُر،

- جَمِيل يا رَفِيقة أنتِ سِلمٌ على الطَبِيعة حَربٌ على الوَرق إذاً، ومَاذا أبقِيتِ للمَشاعِر !؟.

- المَشَاعِر بِالنِسبة لي على قَيد الصَمت، ليسَ هُنَاك مَا يُثِيرُكَ لِتجرُئ على تَحريكِ مَشَاعِركَ في بَلدٍ غَارقٍ بِالفَساد، صَدِقني مَا إنْ تَنوي بإخرَاجِ تِلكَ الطَاقة العَاطِفية في هَذِهِ المَدينة حتى تُفقدك شَهِية الحُب بَغتَة، فَفِي هَذِهِ المَدينة التي لا يَعيشُ بِها الحُب سِوى سِراً وبَعِيداً عَن مُتَناولِ اللصوص، ويُمَارسُ بِها العِشقُ قَهراً لإفَراغِ الشَهوات فقط،

شُعُوبٌ مُهددة بِتَبخُرِ إنسَانِيتِهَا، كَيفَ تُرِيدُهَا أن تُصلِحَ عُواطِفهَا فُوق كَومَة الظُلم والفَساد في هَذهِ البِلاد! .

يَستمعُ جُوزِيف إلى شَلالِ ثَقَافتِها تَحتَ وَطأةِ الدَهشة، قَائِلاً:

- وكيفَ اكتَشفتِ كُل هَذهِ الكَوابِيس المُتَراكِمة في طَيَاتِ المَشاعِر..!!!

- الحَياة يا رَفِيق خَيرَ مُعلمٍ وأردأ طَاغِية، تُعلمُك كَيف تَقرأ وكيفَ تُحب وكِيفَ تَكرَه، وتَبقى تَجلِدكُ بِسياطِهَا حتى تَختَفي مَشاعِرُك بِلا رَحمة ولا شَفَقة.

- إلى هَذا الحَدُ مِن الشُؤم،

- لَيس شُؤمَاً، وإنما وَاقِعاً لا مَفرَ مِنهُ.

بِين الأزِقة البالية يتجِهُ الحُبُ والشُؤم مَعَاً إلى مَقَهى النُوفَرة، لتَبادُلِ حَديثَ الحُبِ الكَاتِم أو رُبَمَا الشُؤم الطَازَج.

[١٣]

مقَاهِي العالم،
هي الأكاديميَّاتُ التي يتخرَّجُ منها العُشَّاقْ،
وحِينَ تُقفَلُ هذهِ الأكاديميَّاتُ أبوابها،
تنتهي ثقافةُ الحُبْ.

نزار قباني

وفوقَ وَطْأةِ الصَخبِ المُنَمّق،

تَتَدافع حُشُودِ المُؤمِنين مِن مَنَافِذِ جَامِعِ بَني أُمَية الكَبير،

لِتُغَادِرَ تِلك الوجُوه بِأثقالٍ مُؤثَثَة بِالسَكِينة مِن مَراسِيم صَلاةِ الجُمُعة، إنَهَا مُوسِيقى يَومِ الجُمُعة، عادة ولَكِنها مِن أسَاسِياتِ العَبادة، لا يَعلم النَاس هُنَا لِما يَذهَبونَ إلى دَورِ العِبادة، ولكِنَهُم يَجتَمِعونَ لِتَتَصافِحَ القُلوب وتَتَغَامزَ الشِفاه ورُبَما لإضَاعة الأوقَات، سينفُونِية المَدِينَة القَدِيمة تِلكَ الحِجَارة الضَخمَة التي تَتَمَطى في فَوَهةِ تَدَفُقِ الدِمَشقِيين ولَفِيفَ الغُرَباءِ بِتَوَجُهِهِم إلى المَقَاهِي العَتِيقة، لِيَجُوبُونَ بِأجسَادِهِم الفَارِغة مِن أُكسِيد الحَياة الأزِقة البَالية بِلا تَعب ولا نَصَب، قَاصِدينَ الزَوايا الجَاثِمة على مَهبِ الجُدرانِ البَازِلتِية لإخمَادِ لَهِيبِ عَطَشَهِم بفُنجَانٍ مِنَ القَهوة وشِيشَةٍ مَكسُوة بِالنُحَاس المُعتق لِنَفثِ دُخَانِ أحَادِيثهم بِحَضرَةِ ضَجِيجِهَا، فَكُل مَا في المَدِينة يُغريكَ للتَسُولِ وإضَاعةِ الوَقتِ والجُلوسِ على الطَاوِلاتِ التي تَبتَلعُ ضِفَافِ الطُرُقَاتِ الضَيقة، وكُلُ مَا فِيهَا شَهي ومُتَورِمٌ بِالشُبُهَات مِن مَنَازِلِها المُتَطَفِلة بِتَلاصُقِهَا الشَرِه، إلى نَوافِذُها المُتَقَابِلة بِشهوَانِية مُتَجَمِدة، أيَةُ أيقُونَة أنْتِ ليَحُجَ إليكِ كُلَ هَذِهِ القَوافِل مِنَ ألوَانِ البَشر! ،

إنَهُ هَوسُ المَاضي بِجِيلٍ لا يَعرفُ مِن وَطَنِهِ سِوى المَقَاهي والمَطَاعِم، هل نَحنُ إلى هَذَا الحَدّ مُدمِنُو قَهوة ومُولعُونَ بِحُبِ بِطُونِنَا! ،

نَعم،

وأكثرُ مِمَا تَتَصُور،

رَاقِبْ ألوَان وجُوههم الثَمِلة، دَقِق في طَعمِ أحادِيثَهُم المُخَدَرة، أنصِت إلى رَوائِحِ مَلامِحِهم الشَاحِبة، شَعبٌ مُرهق بِكُلِ مَا تَعنِيهِ الحَياة من تَعبٍ، إلى أينَ

تَهربُ هَذِهِ القُطعَانِ الكَالِحة في أيَامِ العُطل الرَسمِية يا تُرى !؟،
إلى المَقَاهِي لتَبَادُل أطرَافِ الكَذب، ولِيتَقَاسَموا آراءِ النِفاق، هُروباً مِن خَطِيئة الحَظ إلى نَخبِ الفَناجِين ومَآبِن الدُخَان، شَعبٌ يَحرمُ عَلِيهِ رَفعَ صُوتِهِ إلا في مُبارِيات كُرة القَدم وأسواقِ الخُضار، شَعبٌ لم يَجرؤ يَوماً بِالتَفوهِ في سِياسَةِ البِلادِ أو حتى اقتِصَادهَا، أربَعونَ خَرِيفاً والبَشرُ فِيها يَحلمونَ بِالرَبِيع، أربعُونَ خَريفَاً ونَحنُ في قَعرِ دَارِنَا نُسَاقُ كالخِراف مِن الفِراشِ إلى العَمل ومِنَ العَملِ إلى النُوم،
مُتعبُون يا الله،

ولو نَطقت صُدورنَا لتَألَمت الشَمس ولانطَفَأ نُور القَمر، لم نَعمل يَوماً لنَبني وَطنًا ولم نَتدرب لنُدافِعَ عَنهُ ولم نَزرع لنَحصُدَ مَنتُوجاتنا الزَراعِية والعِلمِية والنِفطِية، فكُل مَا فِينا لَيسَ لَنا وحَتى الُلقَم التي في أفوَاهِنَا هِيَ قَرابِين وَفاءٍ لأعدَائِنَا، ومَع كُل نُبَاحِ فَجرٍ نَقِفُ على مَا تَبقى مِن أعمَارِنَا لاهِثِين بِلعُابِ ضَعفِنَا إلى أعمَالِنَا، لَيسَ حُباً للمَالِ وإنمَا خَوفَاً مِنَ الجُوع والقَهر، فَنحنُ ضَحَايا وَطن لم يَحتَضن صُدُورُنا يَوماً إلا في المَقَابِر، فَلنَا على شفِير القُبورِ مَوعِداً مَعَ المُوتِ مُلتَهِمَاً تَعَاسَتنَا بِشَرهٍ مُفزِع، بل نَحنُ موتى مِنذُ أول صَرخة لَنا على هَذِهِ الدُنيا، لم نَأتِ لنحيَا بل أتينَا لِنمُوت، فَالموت لم يَعُد جَرِيمَة أو كَارِثة في رَحَابةِ الوَطن فلَقد أصبحَ المَوتُ أُمنِية للشَبابِ قَبلَ الشُيابِ، أربَعونَ خَرِيفاً ونَحنُ نَتسَاقط كَأوراقِ الشَجر لنُداسَ بِأقدَامِ الطُغَاة ونُهَان بِلا شَرفٍ ولا كَرامَة، فَلم يَكنْ لنَا مَأوى سِوى المَقَاهِي لنَضحَكَ على بَعضِنَا البَعض تَحتَ رَقَابة استخبَارِية خَانِقة، فَنحنُ أيتَام الصَمت نَهرعُ إلى أُمومةِ القَهوةِ وأُبوةِ التَبغِ بِكَافةِ حَنَانِهِ ومَضَارِهِ، عَلّمَنَا التَبغُ بِأنَهُ هُو المَنفس الوَحِيد لِجراحِنَا وآلامِنَا فلا أحَد

غَيرهُ يُصغي إلى ذَلِك البُكَاء اليَتِيم في غَيَاهِيبِ صُدورِنَا المُطبِقةَ على زَفَرَاتِنا ، يَا أيُهَا الدُخَان الشَفُوق قَدسَ الرَبُ مَنبتك وبَارك الإلهُ في مَنشَأك ودُمتَ للشَعبِ مَنفسَ خَيرٍ وبَركة وبَخُور حُبٍ ورَحمة.

مَقهَى النُوفَرة،

وفَوضى الأصوَاتِ المُرَتَبة،

ورَوائِحَ التِبغِ مِنَ السَجَائِر والنَرجِيلة،

وطَاوِلاتٍ مُلتَصِقة يَلفُهَا ضَحَكَاتٍ مُلتَهِبة،

وحَكَوَاتي يَقصُ على مَسامِعِ التَارِيخ فُنُونَ المَاضِي،

وسَيوفٍ مُعلقة على الجُدرَان بِلا فَارِسٍ ولا جِيادٍ ولا حَربٍ،

وصُورٌ أوقَفَهَا الزَمَانُ لعَمَالقةِ الشِعرِ الصَامت والأدبِ الأخرس هُنَا وهُناك، ومَارة يَطُوفونَ بِلا أحلامٍ ولا أوَهَامٍ، يَقطَعونَ أزقَة الوَقتِ وطُرُقَاتِ الضَياع، هُناكَ وفي ضِيَافةِ النُوفَرة، يحبُو الحُبُ على أطرَافِ حَيائِهِ، مُنتَعِلاً بِوصَلةِ القُلوب، لِيَصِلَ قَبلَ العُشَاقِ بِقُبلة،

– هَل تَرغَبِينَ بالجُلوسِ على مَرَأى المَارة أم تَحتَ قُبَةِ المَقهى وذَلكِ أقَربُ مِن استجدَاءِ الشُبهَة !؟

أُتركَ القَلب وشَأنَهُ فَإنَهُ مَأمور حَيث يَرغب الهَوى.

على طَاوِلة مُستَدِيرة الحُب جَلسَت العَصَافِير المُرتَعِشَة حُبَاً مُتَقَابِلة فَكَانت سَمَاؤهُم غُيومِ اليَاسَمين التي أظَلت الرُؤوس وأرضَهُم ذَلِكَ الخَجلُ البَرِيء، لِيُخِيمَ الهُدوء بِأثُوابٍ مُتَورمة التَوَترُ، قَاطَعَ انِسَجَامَهُمَا النَادِل بِتَحَرُشٍ شَعبي قَائِلاً:

– أهل الغَرام شُو بِحبو يشرَبوا !؟

- ياسَمِينة: قَهوة سَادة،
- جُوزِيف: وأنَا كمَان قَهوة سَادة،
- النَادِل: حسَنَا دَقَائِق وكُل شيء سَيكون جَاهِز،

وكُل مُرِيدِي المَقهَى تَحتَ تَخدِير الشَاشة وأخبَارِهَا الطَازَجة، وفي حَضرةِ الحُب كُلُ شَيءٍ يَدعُوكَ لتأخُذَ دور الهُروب مِن اعتِرافِ لُغَةِ العُيونْ،

فَجَأة يَخترِق سَهمَ السِيَاسَة صَمتَ الهُدوء عَبرَ خَبَرٍ يَتَأجَجُ غَضَباً مَاراً بِشَرِيطٍ أحمَر وَسط اندِهَاش الزَبَائِن.

قَنَاةِ الجَزِيرة:

عَاجِل: خُروج مُظَاهَرات في مُحَافَظَةِ دَرعَا تُطَالب بالحُرية والكَرامَة مِن الجَامِع العُمَري القَدِيم.

أيُعقَل! .

كَيفَ حَدَثَ هَذَا، ولِما الآنْ!! .

رَبَاه، مَاذَا يَحدُث..!

أفسَدَ الخَبَر صَفوَ الحَاضِرين وتَعَالَى الضَجِيج بِاستنكَارٍ كَاذِب، إنَهُ النِفَاق يَصنَعُ مِنَ الجُبنَاء وحُوشَاً قَتَلة، ليَقتُلوا صَوتَ الحَق ويَسفكوا مِياهَ الحُرية ويَزجُوا بِالكَرامَة تَحتَ أحذِيةِ المُجرِمين،

أيُعقَل هَذَا المَشَهد الذي تَشهَقُ لهُ العُيون!!

أيُعقَل مَا يَحدُث الآن في جَنُوب البِلادِ مِن غَضَب!!

حَضرت القَهوة على شَرفِ الحُرية، إنَهُ نَخبٌ بِمَذَاق النَخوة والعِزة،

لَلَمت ياسَمِينة تِلكَ الدَقَائِق بِكَلِمة وَاحِدة شَتات إرباكِها قَائِلة لجُوزِيف:

- أنَا أعتَذِر لَكَ، لا بُدَ لِي مِنَ العَودة إلى المَنزِل.

- ولَكِن يا آنِسَة ياسَمِينة...

تُقَاطِعَهُ مُتحَمِسَة:

- وَلَكِن يا رَفِيق عِندَنَا عَمل، أليسَ كَذَلِك !؟.

- حَسَنَا مَتى سَنَلتَقي يا آنِسَة ياسَمِينة !؟

أجَابَت تِلكَ اللبْوَة الشَرقِية بِبَهجَة مُقَنَعة:

- عِندَمَا يَزُول الظُلم، أعِدُكَ بِلقَاءٍ للحُب.

شَعَر جُوزِيف بأنَ ذَكَائَهَا هَتَكَ مَا يُضمِر لَهَا مِن سِحرِ العِشق، لِيفتَرِقا مُسرِعَين لرُؤيَةِ مَا تَحصدُهُ العَدَسَات الإخبَارِية مِن ثَورة لم تَكُنْ بِالحُسبَان.

[١٤]

عندَما يقُوم شَخص بالثُورة فلا يوجد جَدول زَمني، بل يجبُ عليهِ الاتجَاه دائِماً للأمام، وأي حَديث الآن عن حُرية الصَحَافة يُعتَبر عَودة للوَراء يُعرقِل تَقدمُنا نَحو الثَورة.

فلاديمير لِينينْ

هَربَ الحُبُ،

ولَكِن إلى أين ؟

لَقد جَرتْ أقدَام اللهُفة مُسرِعَةً إلى البَيت، إنَهَا لَهفَة التَطَفُل على مَا تُقدِمَهُ المَطَابخ الأخبَارِية مِن وَجَبَاتٍ هِيَ أقربُ للمُعجِزة، هَكَذَا وفَجأة يَسقُطُ الخَوفُ مِنَ الصُدُور لِتَتَعَالى الهُتَافَاتِ التي أعرَاهَا الرُعب، ولِتَشُقَ الطُرُقَات غَير آبِهة للأشبَاحِ الاستخبَارَاتِية، هَكَذَا فَجأة تُهدِنَا الحَيَاة الشَجَاعة لِنُفَجِرَ تِلكَ الغَصة التي تَخطَت الحُلوق بِشَرهٍ مُخيف، هَكَذَا فَجأة تُقَدم لَنَا الدُنيا الجُرأة للصَدحِ بِالحَقِ والمُطَالَبة بِكَرامَة شَعبٍ دَاستُهُ نِعَالِ المَهَانة بِلا رِفقٍ ولا رأفَةٍ، هَكَذَا فَجأة يَنقَلِبُ الأرنَبُ على الثَعلب على شَاشَاتِ التِلفَزة على بُعدِ مَرمَى مِنَ الكِيلو مِترَاتٍ مِن عَاصِمةِ الدِكتَاتُورِية، لَقد طَافَ كَيلِ الشَعبِ ووَصَلَ الظُلُم حَتفِ الانفِجَارِ الأخِير، لم تكُن القَضِية قَضِيةِ كِسرةَ خُبزٍ وحَسبْ فَنحنُ شُعُوبٌ أشبَعَتنَا الحَيَاة مِن ثَدِي الذُلِ، ولم تَكن المَسْألة مَسألةِ مَالٍ فَلقَد أغنَتنَا الأيام مِن صَدرِ المَهَانة، حَتى رَوَضُوا طُهرِ بَرَاءتِنِا لِنَخرجُ مِن مُختَبَرَاتِ حُكومَاتِنَا التَعسُفِية مُخَدَرِينَ وَطَنِياً وضَمِيرِياً ورُوحِياً وعَاطِفِياً مِن بَعدِ جَلدٍ مُبرِح بِسياطِ الذُل.

أول مَا كَتبَ الشَعبُ في دُستُورِهِ القَانُون رَقم: ١، وفَحُواهُ:

الشَعب السُوري مَا بِينْذَل.

وقَد أصدَر الشَعبُ هَذَا القَرار في تَاريخ:

١٧ فِبراير / شِباط ٢٠١١م.

حَيثُ قَامَ شُرطي مُرور بِإهَانةِ مُواطِنٍ سُورِي وَاصِفَاً إياهُ:

بِالحِمَار،

لم يَتَمالك غَضَبَهُ المُواطِن لِينهَال عَلِيهِ بِضَرب شَدِيد، وكَان الجَزاء بِسَجنِ المُواطِن

في سِجن مَنطِقةِ الحَرِيقة في دِمشق، فَلم يَستحمِل النَاس ذَلِك الظُلم لِيخَرجوا أمَامَ مُعتَقل ذَلِكَ المُواطِن صَارِخِينَ بأعلى حَنَاجِرَهُم بِشِعار:

الشَعب السُوري مَا بِينْذَل.

أربَعةِ عُقُود مِن الإستِذلال المُحَقر، في كُلِ مَراحِلِ الحَياة، أينَ يَقعَ إصبَعَكَ في سُوريا تَجد الذُل هُنَاك يَجلدَنَا بِالانحِطَاط، في المَدَارِس والجَامِعَات والمَصَانِع ودُور العِبادة والطُرُقَات وحَتى المُستشفَيات والمَقابِر لم تَسلَم مِنَ الضَيم، تَخَيل بَأنَ مَوتَانا نَدفُنُهُم بِقُبورٍ قَد اشتَرِينَاها مِن الدَولة!

رَباه! ،

صَدِقنِي وَطَنٌ نَشتَري بِهِ قُبُورنَا لا نَستحِقُ أن نُدفَنَ بِهِ،

أينَ المَفر بِحقِ الرَب! .

ولم يَكتَفِ الشَعب بِإصدَارِ أولِ مَرسُومٍ وَحسبْ، ليُخرِجَ القَانُون رَقم: ٢، وفَحواهُ:

خَاين يلي بيقُتُل شَعبوا.

و قَد أصدَر الشَعبُ هَذَا القَرار في تَاريخ:

٢٢ فِبراير / شِباط ٢٠١١م.

لم يَتَمالك الشَعبُ السُوري حَمَامِ الدِمَاء الذي فَتَحَهُ المُجرم الليبي: مُعَمر القَذافي. حَيثُ خَرجَت جُموع مِنَ الدِمَشقِيينَ أمَامَ السَفَارة الليبية في دِمشقَ حَامِلين الشُموع في مَساءٍ يَليقُ بِالدِمَاء المُتَدفِقة مِن فُوهَةِ البَنادِق القَذَافِية، هُنَاك وتَحتَ أنظَارِ الله رَاحت قُواتِ المُخَابَراتِ السُورِية بِفَتحِ المِياهِ عَبر مضَخَاتِ سِيارَاتِ الإطفاءِ بِكُلِ قِلةِ أدبٍ لتَفرِقَةِ المُتَظَاهِرين، وَقَفَ الشَعبُ في مَكَانِهِ أمَام المِياه القَذِرة مُتَحَدِياً غَطرَسَتَهُم هَاتِفَاً ضِد جُنونِ المُجرم مُعَمر القَذَافي، وصَارِخَاً بأعلى صَوتِهِ:

خَاين يلي بِيقُتُل شَعبوا.
لِتَكُونَ الضَحِية باعتِقالِ ١٥ شَابَاً.

ولم يَكتَفِ الشَعب بِإصدَارِ المَرسُومِ الثَاني وَحسبْ، لِيُصدِّر ١٥ طِفَلاً مِن مَدينَةِ دَرعَا بِطَرِيقة استفزَازِية المَرسُومِ رَقم: ٣، وفَحواهُ:

الشَعب يُريد إسقَاطِ النِظَام.

لَقد أهَدت أيَادي الأطفَال الجَبَارة، للكِبار الصَامِتين في ذَلِكَ الزَمَان شَهقَة كَرامة بِكِتَابَاتِهم التي لَوّنَت جُدَرانِ مَدرَسَتِهم بِشَرف، وفي لَيالي ارتِجَافِ الجُبَنَاءِ مِنَ الدَولة، والبَولِ في الفِراش مِن الصَدحِ بالحَق، اعتَقَلت المُخَابَرَاتِ السُورِية تِلكَ البَراعِم إلى زِنزَانةِ الوَطن للتَربِية والتَهذِيب، فَكانَت التَربية باقتِلاعِ الأظَافِرِ وجَلدِ الأجسَادِ وتَشُويهِ الوجُوه وفَضِ بَكَارةِ طُفُولتِهم بِفُحُولةِ المُغتَصبِ الصِنديد، أينَ كَانت تِلكَ الرُجُولة في حَربِ الجُولانِ مَع المُحتَلِ الصَهيوني! ،
أينَ كَانت هَذِهِ الفُحولة في صِنَاعةِ الوَطن المَنهُوب! ،
أم سَلطَكُم الدَهرُ عَلينَا لأنكُم:
كِلابٌ تَنبحُ أمَامَ ضَعفِنَا وصَراصِيرٌ حَقِيرة في مَيادِينَ الوَغى!!
وَا أسَفَاه،
إلى كِلابِ الطَاغِية بَشَارِ الأسَدِ أغرِسُ قَهر قَلمَي وأكتُب:
أيُهَا الجِراء القَذِرة،
مُنَافِقينَ الوَطن وكُفَارِهِم،
أعلم بِأن الكَلمَات لن تَهُزَ نَجَاسَتَكُم،
ولَنْ تَهزُم جُوعَكُم وشَرهَكُم وسَغَبِكُم العَفِن،
ولَكنَ التَارِيخ لهُ آلاتٍ تَصوِيرية تَفضَحُ رِدَتَكُم وضَمَائِرَكُم النَجِسة، ألم تَعلَموا

بَأنَ الأجَيال تَطوَرت بِالسَبِ والشَتم، فَأنَا آسِف لِتَارِيخِكُم الأسوَد كَصُدُورِكُم المُظِلمة، كَم مِن الأبنَاءِ والأحفَادِ سَيتَوارَثُونَ شَتمَكُم وسَبَكُم، وكَم مِن لَعنَاتٍ سَتنهَارُ عَلى أرواحِكُم، وكَم مِن أحذِية وحَوافِر سَتَدُوسُ قُبورَكُم.

يا أيُها الشَبِيحة،

يا رُعَاة الإرهَابِ والعُهر،

يا دُعَاتَ السَفكِ والقَتل،

يا أيُهَا الظَالِمونَ والمَجرِمُونَ والخَوَنة،

أُقتُلوا أيُهَا الطَواغِيت، واحتَسوا نَبِيذَ دِمَائِنَا بِخُوَذِكُم، وارقُصُوا فَوقَ أشلائِنَا، فَلَنَا مَوعِداً مَع الدَمَارِ الجَمِيل، مَع اللجُوءِ الخَلُوق، مَعَ الموتِ المُرَتّب، مَع اليُتمِ الحَنُون، مَعَ الفَجَائع المُهَذبة، مَعَ رُوحِ الشَهِيد، مَع البَنادِق المُزهِرة، مَع أحلامِ الوَطنِ الخَالية مِنكُم، وفَرحَةِ النَصرِ بِخَلاصِ البِلادِ مِن نَهيقِكُم،

لا تَفرَحُوا بِالظُلم، لأنَ بَعدَ الظَلامِ يَأتي النُور.

إلى طَبِيبِ العُيون أكتُب:

يا ثَعلبَنَا المَكَار،

هل أقُول لِسِيادَتِكُم عَظِيمَنَا: الثَعلب، أم أقُولُ لَكُم سِيادة الرَئيس بَشَار !؟..

لا يَهُم الوَصف طَالما المَوصُوف سَفَاح،

هَل أعجَبتكَ الدِمَاء يا قَائِدَ القَتِل! ،

هَل أبهَجَكَ الدَمَار يا حَاكِمَ الرُعب! ،

هل سَرَكَ المَوت يا مُدَبِرَ القُبور وحَفَارِهَا! ،

أسألُكَ بِكُفِركَ وكُلِ مَا تَعبُد أن تُجِيب ولو بقَذِيفة كِيمَاوية،

مَتى تَرضى!! ،

قَسمْتَ البِلاد بِالحَواجِز، شَتتَ الخَلائِق بِالمَجَازِر، دَمرتَ المُدن بِالرَاجِمَات، قَتَلتَ الشُبان بِالرَصَاص، فَلم نَعُد نَقدر على إحصَاءِ الإنجَازَات أو إنجَازَات الأب الخَالِد والطَاغِية العَظِيم حَافِظ الأسد شَتَتَ الله مُلكَكُم وأراحَ العِباد مِن غَطرَستكُم، فَمنذُ الحَركَة التَصحِيحِية المُفعَمَة بِالاعتِقالاتِ والسَرِقَاتِ وأنتُم تُنجِزون، وكُل إنجَازَاتِكُم على العَينِ ورُبمَا في العَين والرأسِ، ومِن عَظَمتَها التي لا تُعد ولا تُحصى أستحي أن أشي للوَرق عَنهَا لَيس حِياءً مِنَ بَياضِ الوَرق، وإنما البَياض للتَقوى ونَجَاسة إنجَازَاتِكُم والبَياض لا يَمتزِجَان وبِينَهُمَا بَرزَخٌ لا يَبغِيان، ووَحي غَبَائكُم لا يُضَاهِيهِ وَحي، كُنتم تُخفُونَ أنيَابَكُم ومخَالِبَكُم لإنهَا عَورة، ويَحرُمُ على الطَواغِيت إظهَارَهَا، وبَعدَ أن انكَشَفت عَوراتُكَ يا لِصَ عُرُوبَتِنا تَجلَت لنَا دُولٌ تَحكُمُ نُبَاحَكُم ونَهِيقَكُم في آنٍ واحد، وا أسَفَاه،

طَبِيبَ العُيون، قَد رُبِطَ مِن عُيونِ عَورَاتِهِ بِحِبالٍ إيرانِية وقُيودٍ رُوسِية، أقُول لِتَلكَ الدُولِ المَغرُورة مُبَاركٌ عَلِيكم سِيادةِ الرَئِيس الكَلب المُدَلل لَمصَالِحَكُم وهَنِيئاً لَنَا تُرابِ الوَطن.

إذاً خَرجَ الشَعبُ في جَنُوبِ البِلاد، وكُلِ العُيونْ شَاهِرة أنظَارِهَا إلى شَاشَاتِ الدَهشَة، مَذهُولة مِن أهَالِي حَورَان البَوَاسِل الذِينَ لم تَرُدَهُم المَنِية.

[١٥]

لا يوجِد الآنْ لُصُوص أو خَوَنة أو تَدخُل خَارجي هَذِهِ المَرة الثُورة حَقِيقة.

فيدل كَاسترو

وَصَلت اللَهفَة إلى أعتَابِ بيتِهَا في عَجَلَةٍ مِن أمرِهَا،
وَصَلت ياسَمِينة بَعدَ الحَدَث،
حَدثُ مَاذَا ؟
إلحَقْ سُطُوري سَتَعرِفُ أيُ حَدَث،

تَفتَحُ بَابَ المَنزِل بِقُوة مُتَلكِئة، بِيَدِين دَبَ فِيهُمَا الحَمِية وشَيئَاً مِنَ الرَعشَة، تُدخِلُ المِفتَاح بِمُوارِبِ البَاب، لِيفتح أخِيراً بَعدَ عُسرٍ بِالارتِعَاش، تَلمَحُ أُمُهَا قُدُومهَا المُوارِب ووَلَهَا الذِي فَشَا في تَفَاصِيلِ وَجهِهَا، والعَرقُ يَسِيل على جَبِين اليَاسَمِين كَمَا يَسيلُ لَمَعَانِ العَسَلِ مِن جَدَاوِلِ خَلِيَتِهِ، تَخلَعُ بَيَاضَ صَندَلَهَا العَالي الذِي وَطِئَ القُلوب بِتَهورٍ مُكَابِر، ولَكأنَ ذَلِكَ الحِذَاء يَرفُضُ خَلعَ بَيَاضِهِ مِن بَيَاضِهَا، تُلقي بِمعطَفِهَا بِلا تَأشِيرةِ مِشجَب، تَارِكة نُعُومَتَهُ المُزدَحِمَة لَمَرِ البَيتِ، فَاتِنةٌ أنتِ بِتِلكَ الحَركة النَشِطة لرُؤيَةِ الحَدثِ، ولَكَأنَ الحُرية شَعبُكِ والكَرَامة شَارِعَكِ والمُظَاهَرات التي خَرَجت إلى الطُرُقَاتِ تُطَالبُ بِكِ.

يَقُولُ اليَاسَمِين كُفَ عَن ثَرثَرةِ حِبركَ يا هَذا.

لِيسَ الآن وَقتَ التَفَاهَات الشَاعِرية والحَمَقاتِ الغَزَلِية،

تَقُول لَهَا الأُم:

- عُدِتِ مُبَكرة يا بُنَيَتي، هَل حَدثَ أيَ مَكروهٍ..!!

تَرفَعُ بَعثَرة شَعرِهَا المُسَدِل لِتَجمعَ نُشُوزهُ، وخَصلَةٍ حَجَبتْ رؤيَتَهَا، مُجِيبَة أُمَهَا بِفَزَعٍ لَطِيفٍ:

- حَبِيبةَ قَلبي يا أُمي، لَقد انتَفضَ الشَعبُ مُطَالِبَاً بِإسقَاطِ نِظَامِ بَشَارِ الأسَدِ في دَرعَا.

يَتَغيرُ صَفوَ وَجهِ الأم والرُعبُ قَد اتضَحَ على وَجهِهَا مُرَدِدَة بِصُوتِ المَلكُومَة:

- دَخِيلكْ يا عَدرَة احمِينَا، دَخِيلك يا أُم النُور صَلِيلنَا.

تَجري ياسَمِينة إلى شَاشَةِ التِلفَاز مَذعُورة، إلى قَنَاةِ الجَزِيرة التي نَقَلت الخَبر، بِإعلانٍ في أسفَلِ الشَاشة وبِخَلفِيةٍ حَمراء يَنتَفِضُ اللُونُ مَرعُوباً:

عَاجِل:

سُقُوط قَتِيلَين في مَدِينَةِ دَرَعا جَنوب سُوريا على يَد قُواتِ النِظام إثر اندِلاعِ احتِجَاجَات تُطالبِ بِالحُرِية والكَرامة.

تَخرُ ياسَمِينة مَذهُولة مِن غَباءِ المُخَابَراتِ السُورِية و رَدَةِ فِعلِهِم الخَبِيثة.

لَيسَ هُنَاكَ مَا يَدعُو إلى الذُهُولِ آنِسَتِي،

إنَهُ أمرٌ لا يَدعو للدَهَشة ولا للذُهُول، وهَل تَعتَقِدِين بَأنَ وَالِدهُ السَفَاح، يُقَدم لَهُ المُلك لولا أنهُ مُتَأكِد من وَلَدِهِ طَبيبَ الإجرَامِ والدِمَاء سِيَفُوقَهُ قَتلاً وتَنكِيلاً، إنُها بِدَايةِ مُمَازَحة مَع الشَعب لا غَير،

لَقد انتَفَضَت مَدِينةِ دَرَعا عن بَكرَةِ جَدِهَا،

خَرجَ الشَعبُ مِن مِلحِ الجِراح، مِن شُقوقِ الألم، مِن ثُقوبِ الوَجع، مِن غَصَةِ الرُوح، مِن النِزاعِ الأخِير، مِن مَخَاض الكَرَامة، مِن أنِينِ الحُرِية، خَرَجت النَاس إلى الشَوَارع والسَاحَات يَهتُفُون بِغَضَبٍ:

الموت ولا المَذَلة.

إنَهُ: يوم الغَضب السُوري،

كَمَا دَعا إليهِ النَاشِطُون عَبرَ صَفَحَاتِ التَواصُلِ الاجتِمَاعي الإلكِترُونِية،

إنَهُ الرَبِيع العَرَبِي يَحلُ ضَيفَاً بِدمَائِهِ ودَمَارِهِ على الشَعبِ الأعزَل،

أربَعُونَ خَرِيفَاً نَعِيشُ بفُصُولٍ عَدُوهَا الحُب وطُقُوسهَا الرُعب، فَصلُنَا الوَحِيد هُو الخَوف، خَرِيفُنَا هَلعٌ يَدُور بِنَا على مَدَارِ الأعُوام، ونَدورُ حَولَهُ فَزَعَاً وخَشْيَة

لِيحَلَ عَلِينَا الرِضَا مِن قَدَاسَةِ الفَزَاعة التي تَحتَلُ البِلاد،

أيُعقَل مَا يَحدُث..! .

نَعم آنِسَتِي إنَهُ القَدر عِندَمَا يُقدِمُ لَنَا تُوقِيعَهُ،

وَقَّعَ لَنَا هَذا اليَوم صَفقة مَعَ الحُرِية بِمُبَارَكة مَع الموت،

أرَاد أن يُقَايضنَا بِمُعابَثَةِ الدَمَارِ ومُمَازَحةِ الخَسَائر البَشَرِية والمَادِية مُقَابِل الحُرِية والدِيمُقرَاطِية،

عَجِيبٌ أمرِ الشَعب! .

أرَاد الشَعب أنْ يُسَير مَشِيئةِ دَورانِ الطَبِيعة على مِزاجِ القَهر الذي تَجرَعَهُ، رَبِيعٌ بِلونِ الدِمَاء يَأتِنَا في الشِتَاء!!

و مَا العَجِيبُ في ذَلِك!!

أربَعُونَ عَامَاً والشَعبُ يَعِيش بِفَصلٍ وَاحدٍ،

أربَعُةِ عُقود كَانت كُلَ فُصُولِهَا خَرِيفَاً سَمِجَاً، حَتى أضحَى كُل مَا في الوَطن جَافَاً لِيَصِلَ ذَلِكَ التَصحُر إلى مَكَامِنِ الأفئِدة، وجُوهِ البَشَر هُنا مُتَكَسِرة مِن الخَوف، الشَوَارِع مُتَحَطِبة مِنَ الرُعب، والأبنِية والمراكِز الحُكومِية تَعلِيمِية كَانت أو تُوجِيهِية قَد أصَابَهَا جَفَاف عَارِم مِنَ الاستبسَالِ في استحقَارِ الشَعبِ.

مَن أنتُم! ،

نَحنُ الشَعب،

أمَام قَدَاسةِ الشَعبِ وحَمِيَتِهِ الثَائِرة أقِفُ بِكُلي وأمَامَ جَبلٍ مِن جِبَالِ الأدَبِ أقُول:

رَحِم اللهُ الأدِيب السُوري وأستَاذَنَا الكَبِير: مُحَمَد المَاغوط.

ذَلِكَ العِمَلاق الثَائِر بِقَلمِهِ، الذِي لم يَتَلوث ولم يَتَلوَن يَومَاً، فَلَقد وِلدَ قَبلَ الشَعبِ بِصَرخَة، وخَرجَ إلى هَذِهِ الدُنيا مِن بَعدِ مَخَاضٍ سِياسِيٍ عَسِير، فَكَانَ المَنفس الوَحِيد لِطَالِبي الحُرِية، وكَان الشَعب يَعرف المَاغوط مِن كِتَابَاتِهِ المَسرَحِية السَاخِرة والجَرِيئة التي تَمسُ حِمى لُصوص الوَطن، فَكُنَا نَعرِفَهُ مِن مَسرحَية:

كَاسَك يا وَطن، ومَسرَحية ضِيعَة تشرِين، ومَسرَحِية غُربة، ومَسرحِية شَقَائِق النُعمَان، ومَسرحِية خَارِج السِرب.

ولم تَرتَوِ القُلوب مِن حَلبَات المَسَارِح الكُومُيدِية وحَسب، لِيدخُلَ رَحَى الرِوايَات بِشَجَاعة، كُنَا نُخفي رِوَاياتِهِ في مَخَابِئنَا كَمَا نُخفي الكَرامة في قَعرِ صُدُورنِا، وعلى شَمعةٍ رِيفِية وكَأسٍ مِنَ الشَاي البَارِد ووسَائِدٍ بَسِيطة يَتكأُ عَلِيهَا عَجزَنَا نُقلبُ تِلكَ الرِوَايات، نَستَعيدُ مَا بَقي فِينَا مِن كَرامة، نَتَجَسسُ على السُطورِ الوَهمِية، نَتَحسَسُ إضرَامِ العِبَارات،

رِواياتٍ بأسمَاء لَذّاعة:

سَأخونُ وَطَني،

الأُرجُوحة،

و غَيرهَا مِن المَقَالات التي تُقَاضِي صَمتَنَا، هُوَ الذِي قال:

لو كَانت الحُرية ثَلجَاً لنِمتُ في العَراء،

آآه يا سَيدِي، وِينك ؟

كَم تَمنيتُ أن تَحيا لِهَذِهِ اللحَظة لِتَرى مَا تَمَنَاهُ حِبرُكَ ومَا حَلُمَ بِهِ فِكرُكَ، أُخرج مِن قَبرِكَ واستَمع إلى سَيفُونيةِ الحُرِية، أُخرُوج مِن لَحدِكَ وشَاهِد لُونَ الدِمَاء

المُنسَكِبة على خَرِيفِنَا العَجُوز، أُخرج مِن صَمتِك فَرائِحَةِ الكَرامة تَحُنُ لرُؤياك، جَاء المَاغوط بِصوتِهِ وحبرِهِ، بَل بِشَبَحِهِ وطَيفِهِ قَائِلاً:

جَرِبوا الحُرِية يَومَاً وَاحِدَاً، لتَروا كم هِي شُعُوبَكُم كَبيرة، وكَم هِيَ إسرَائِيل صَغِيرة.

المَاغوط

[١٦]

لا أحَد يَقوم بِثُورة بِنَفسِهِ، وهُنَاكَ بَعض الثُوراتِ الإنسَانِية التي تُنجز دُون أنْ يَعرِف النَاس تَمَامَاً كَيفَ حَدثَت، لأنَ الجَمِيع شَاركُوا فِيهَا.

جُورج صَانْد

في ضِيافةِ الله،
قَد سَقَطَ أولُ شَهيدِين كَمَا ذَكَرت قَنَاةَ الجَزِيرة،
و مَن قَال بِأنَ شُهدَاءِ الحُرِية يسقُطُون!
نَحنُ نَموت لِنَرتَفِع إلى النُجُوم،
نَموت لِنُحَلق في سَمَاءِ التَارِيخ،
نَموتُ لِنحيا مُخلَدِينَ في جَنَاتٍ عَرضُهَا السمَاواتِ والأرضِ أُعِدت للصَابِرين،
نَموتُ لِيَحيا الوَطن، فلا مَكَانَ للجُبَناء على هَذَا التُراب،
فَقط في مَواطِن اليَاسَمين،
تُحَلِقُ أروَاحِ مَن تَخضَبت دِمَائَهُم بِالتُراب إلى الجِنَان،
عَارِية مِنَ غَفُوةِ السُقوط، لا زَادَ لهَا إلا رَائِحَةِ المِسكِ التُوتِية،
و في رِحَابِ الدِمَاء، وذُهُولٍ هُو أقرَبُ إلى الخَجل وأبعدُ مِن رَصَاصَةِ شَهادة، تَدُبُ الحَمِية في عُروقِ الشَعب مِن مَشهَدٍ أشعَلَ في الصُدورِ نَاراً، حَطبُهَا الحُرية ووَقُودِهَا الكَرامَة، انتَفَضتْ يَاسَمِينَة مُحتَمِية بِبَياضِ الوَرقِ ورُذَاذِ الحِبر، وبَدَأت تَكتُب تِلكَ المُعجِزة التي قَدمَهَا التَاريخ لِهَذَا الوَطن الغَارِق بِوَحلِ الفَساد،
آنِسَتِي لَقد وَلى زَمَان القَلم،
إنَهُ زَمن الخُروجِ إلى الشَارِع ووقتُ الصَدحِ بِالحَقِ ويومِ غَضَبِ الشَعبِ وسَاعةِ الفَوزِ بالشَهَادة،
لا وَقت للكَلِمَات الدَمُوية.

رَفَعَ اليَاسَمِين سَمَاعةِ الهَاتِف،
طَلَبتَ أرقَام الحُب أو رُبمَا أرقَام الثَورة،
لَعَلَ الوَقتُ لِيس مُنَاسِبَاً، ولَكِن في زَمنِ الثَورَات كُلِ الأوقَات مُهيأة للدَمَار.
ـ ألو... مسَاء الخَير.. كِيفَك جُوزِيف...!
ـ أيوَا... مَساء النُور... أهلِين يا سَمِينة.. شَغلتِيلِي بَالِي.. إن شَاء الله مَا في شِي... ؟
ـ الله لا يِشغلَك بَال... فِيني أشُوفَك هَلأ!!!
ـ حَاضِر وين بشُوفِكْ ؟؟
ـ على باب شَرقِي على باب كِنِيسة القِدِيس سِركِيس بَعد نِص سَاعة...
أغَلقت الهَاتف ولَلَمت ذُهُولِ عَينِيهَا، مُنتَعِلة حِذَائهَا الخَالي مِن صَهِيل العُلو الشَامِخ، وخَرجَت مُنسَحِبة المِزاج مُرتَدِية مِعطَفَ انتِفَاضَتِهَا.
أسرَعَ اليَاسِمين وفي جُعبَتِهِ تَمرُدٌ مُتَنَاثِر على مَسَاحَاتِ التَسَاؤل، وفي أزِقَةِ المَساء المُشرِقة بِشَمسِ الثَورة القَادِمة مِن أعاصِير الشَعبِ وثورة الجَنُوب، يَنهَالُ المَطرُ بَاكِياً على أولِ خَدشٍ أبتَلعَهُ الشَعب، بَكى المَطرُ على أولِ شَهِيدين لِيَصل عَبَقَ دِمَائِهِم إلى عَاصِمةِ اليَاسَمين، بَكى المَطر ليتَرَاشَقَ على شَعر اليَاسمِين خَامِداً ظَمَأ الهُبوبِ المُضرمِ في أحشَاءِ الشُرَفَاء.
على بَوَابَةِ القِدِيس سِركِيس،
رَاقِدٌ ذَاكَ الصَلِيب،
شَاهِداً لِقَاءَ الحُبُ تَحتَ نُورِ الرَبِ،
وَصَلَ اليَاسَمين مُبلَلاً بِرُعبِ الليلِ،

رَأى جُوزِيف طَيفَهَا يَشقُّ انهِمَارِ المَطر وَسطَ ظَلمة مَتَلاطِمة بِالبَرد، فَسارعَ إليَهَا خَالِعًا مَعطَفَهُ لِيُدثِرَ ارتِعَاشَ اليَاسَمِين.

دَثِر بِياضَهَا سَيدي،

دَثِر صَدى المَشَاعر بِمعطفَ قَلبِكَ،

لُفَ يُتمَهَا بِوشَاحِ صَدركَ الدافئ،

ضُمَ النَبضة الرابِعة قَبل قَرع أجرَاسِ الأنينْ،

سُق بِكلُ تَنهيدةِ عِرقٍ سَارَ تَحتَ وَقعِ ظِلِكَ المُشَتت،

- خَير يَاسَمِينة.. لِيش طَالعة بِالمَطر... خَوفتِيني عَلِيكِ.. صَاير مَعك شِي!!

- أنتَ شَايف شُو عم بِيصير بِدَرعَا !... لازِم نَعمل شِي... مَا لازِم نضَل سَاكتِين...

- رَاح خَبرِك إنو أنَا مِن المُؤسِسِين للتَجمُع يلي دَعا للخُروج للمُظَاهَرات...

لا زَال المَطر يَنكَفِئُ على الرُؤوس بِضَجَرٍ مُبرِم ومَع كُل قَطرة مَاءٍ يَقَعُ على ذُهُول يَاسَمِينة كَصَدمَاتٍ مُتَتَالية مِن شَجَاعَةِ جُوزِيف... وبِلُغة شَعبِية مَحمُومَة بِالإعجَاب رَاحت تَهزُ الأجَواء صُرَاخَاً...

- الله مَحيي البَطِن يلي حَمَلك يا دِكتُور...

وألقَت بِكُلِها ضَامة عُنُقَهُ، كَضَمةِ أليد مَارتِش لِحَبِبَهَا تِشي جِيفَارا بَعد كُلِ خِطَاب،

ضُمِيهِ آنِسَتي،

يا جَمرَ بَردٍ وسَلَامَاً،

ومَدِينَةِ عِشقٍ وأمَاناً.

ابتَدَأت رِحَلة النِضَال، وانتهَت لَحظَاتِ القَلم،

هُمُ الشُرَفاء فَقط مِن سَيستَرد لِهَذَا الوَطنِ حُريَتهُ على طَبَقٍ مِن الأروَاحِ البَرِيئة، استجَمعَ اليَاسَمين قواهُ، جَامِعاً للمَالِ والمَصاغ، فَبدَأت تُرسِلَ المَال إلى الأمَاكِن المُنتَفِضة، وأكياسٌ كَبِيرة مِنَ أعلامِ الاستقلالِ المُخاطة بِالسهرِ والتَعب، وكَبُرت رُقعة الأصواتِ وكَبُرَ معَهَا مُستنقَع الدمَاء، وكَبُرَ حَجمُ الدِمار على كُلِ حَفنَةِ تُرابٍ طَالبت بِهَا بِالحُرية، لَقد كَانت الحَنَاجر تَشقُ عَنَان الكَرامة، غَير آبهةٍ لِتَسَاقُطِ القَنَابِلِ والصَوارِيخِ بِكَافَةِ أنوَاعِهَا الإجرامِية ، وكُل لَحظة نُقَدِمُ لثورة الكَرامَة تَمُرُدَنَا اليَتيم على الاستعبَاد وتُقَدِم لَنا تَوَابيت المَوت المَذعُور، نُهدي لهَا أروَاحَنَا وتُهدِي لنَا الفَجَائِع الدَسِمة، صَارت أحَلامنَا كَشُبَانِنَا تُحمَلُ على الأعنَاق تَدُور بِرَحَاهَا في سَاحَات الحُرية، والعَالمُ كُلُهُ يَنظُرُ إلى زَمجَرةِ قُوتِنَا تَهتُفُ لسُقوطِ الجَلادِ ومَوتِهِ، يَومَ أمس كَانت تَركَنُ صُورهُ كَفَزاعة في كُل رَشفَة دِمَاءٍ، نَهتُفُ لَهُ بالرُوحِ والدَم ونَفدِيهِ بِالأموالِ والأولادِ خَوفَاً مُبكِياً، أربَعونَ خَريفَاً ولم نَخجَل مِن الوَطن، والوَطنُ لم يَخجلْ مِن ضَعفِنَا، لَقد بِعنَا الوَطن للصٍ ظَالمٍ على طَبَقٍ مِن هَلع فَأهدى الوَطنُ لنَا ذُلاً يَليقُ بِنَا.

بِالأمسِ القَرِيب،

دَسَ لَنَا الأجدَادِ بِأنَ للجُدرانِ آذَان ذَات تِقَنِية عَاليةِ الجُودة، تَكتَشف النَوايا التي تَختَل عن سِراطِ ومَنهَجِ الرَئيس، قَالوا لَنَا بِأن الوَطن رَجُلاً وَحِيداً يَأمرُ وينهَى ويقتُلُ ويَسفك مِن أجلِ لُقمَةِ العِيش، صَدقَ أبي عندمَا قال:

الله يلعنَ هاللُقمة يلي مغمَسة بِقَهر .

قَتَلوا أبي،

لِيسَ مِن أجلِ لُقمَةِ القَهر، بَل مِن أجلِ رَغِيف الكَرَامة، لَقد أطعَمُوهُ مِن ثَريدَ

الذُلِ والخُضُوعِ للانصِياعِ إلى أهوَائِهم، ولَكن تَأبى الجِبالُ إلا أن تَكونَ جِبَلاً، أرادوهُ كَما يُرِيدُ الجُبَناءِ أَنْ يَكون ولَكن مَاتَ كَمَا أراد حُراً شَهِيداً صَلباً أمَامَ جَبَروتِهِم وغَطرَسَتِهِم، هُو مَاتَ لِيستِيقظَ في ضَمَائِرنَا تِلك النَخوة والشَهَامة، أردتُموها حَربَ كُرهٍ بِرصَاصٍ صَامتٍ، فَأرادَهَا الشَعبُ ثَورة مُلتَهِبة تَحرِقَهُم وتُدمِر الأرضَ مِن تَحتِ حِقدِكُم، الذي كُنتم تَخَافونَ مِنهُ حَدث، ولا رَادَ لِقَضاءِ الشَعبِ إلا بِجَزِ أعنَاقَكُم، نَحنُ لسَنا دُعَاتَ قَتلٍ ولَكن مَجَازِرَكُم من أوصلتكُم للقِصَاص، في كُلِ بِيتٍ هُناك يَتَامى وأيامى وشُهَداءٍ ومَفقُودِينَ وجَرحى ومُعتَقَلينَ، السُؤال الذي سَيُلاحِقُ ضَمَائِرَكُم،

هَل الشَعبُ سَيَغفِر لَكُم !!!؟

[١٧]

الهَدَف الرَئِيسِي للثَورَة هُوَ تَحرِير الإنسَان، وليسَ تَفسِير أو تَطبِيق بَعض الأيدلوجِيات المُتَطَرِفة.

جِين جِينتْ

وكَلَمَا حَلَقت رُوحَ شَهيد على أرضِ الوَطن،

استيقَظت مَدِينة، ورَاحت تُعلِنُ تَمرُدهَا أمَامَ تَرسَانَاتِ المَوت المُفجِعة، اليَوم دَرعَا، وغَداً رِيفُ دِمشق، وبَعدَهَا حُمص، ولبَت النِدَاء بَانِياس، ووَثَبَت مِن بَعدَهَا حَماة، وأسرَعت للنَجدَة ادِلب، ولم ينسَ التَاريخ أهلِ السُويداء، واللاذِقِية لأهلِهَا نَصيب، وحَلب تَضطَرِمُ نَاراً مُوقَدة، فَيَتَطاول دِكتَاتُور الوَطن وَاصِفاً شَعبَاً دَحَرَ الاستعمارِ الفَرنسِي بالجَراثِيم! ،

ورُحتَ تَقصِفَ الوَطن بأسلِحَةِ الوَطن أمَامَ الإعلامِ العَالمِي بِكُلِ وَقَاحة، وتَخرجُ كَجِرذٍ عَفِنٍ خَلفَ العَدَسَات تُبَارك لِعصَابَتكَ نَخبَ دِمَائِنَا، والمَوت يَحمِلنَا إلى حَتفِنَا الأخير بِالتَجزِئةِ والجُملة بِلا رأفَةٍ ولا رَحمة، كَم مِن طِفلٍ يَتمتْ ؟، وكَم من عَروسٍ رَملت ؟، وكَم مِن شَابٍ قَتلت ؟، وكم من أعضاءٍ بَترت وأشلاءٍ قطعَت وعائِلاتٍ هَجِرَت ومَنَازِلٍ نُسِفَت ومُدنٍ دُمِرت بِسَبَبِ مَنصِبٍ لا يسَاوي في رَأسِكَ رَصَاصة مِن ذَخَائِر أسيادَك الرُوس، سَتبقى كَلبَهُم المُدلَل إن بَقيت حَيَاً، اهَث خَلفَهُم بِنُبَاحِكَ، لن تَرحَمك الجُثث المُكَدسة ولا المَقابِر الجَمَاعية التي قَدمتَها عُربونَ مَوتٍ لِشَعبِك.

ذَاتَ ظَهِيرة دَاهَمت عِصَابَات الأسَد مَنزِل الدِكتُور جُوزِيف حَدَاد بَعد أن تَمَ كَشفِ أمرهِ بِتَعامُلِهِ مَع ثُوارِ غُوطَة دِمَشق الشَرقِية، فَكَان يُسَرِبُ لهُم المُعِداتِ الطِبية، ويَذهبُ كُلِ لِيلة لمُعَالجَةِ الجَرحى، وبَعد أن فَتَشوا البَيت ولم يَجِدوه رَاحوا يُكَسِرونَ أثَاثَ البيتِ بِشَراهَةِ حِقدٍ لا تُوصف، لَقَد هَربَ الدِكتُور جُوزِيف إلى الغُوطة، فَقَد فَتَحت النَاس أبوابَهَا لهُ مُرحِبة لِجُهُودِهِ وصُمُودِهِ وشَجَاعَتِه، لم يَنسَ أهل الغُوطة ذَلِكَ الطَبِيب الذي يأتِي كُلَ لِيلةٍ مُتَخَفِياً لِمُعَالجَةِ

الجَرحى، ولم ينسوا المُسَاعَدَات الطِبية من الأدوِية التي يُوصلهَا كُلَ لَيلةٍ إلِيهم حَامِلاً رُوحَهُ على كَتفِهِ غَيَر آبهٍ للرُعب الذي أنَاخَ بالكَثِيرين مِن قَلِيلِ الضَمِير والوِجدان، فَكَانَ هَمَهُ إنقَاذ الجَرحى مِن الرصَاصِ الذي اخترَقَ الأجسَاد، وعلى أنقَاضِ الدَمَار الجَمِيل أنشَأ في دُومَا مَشفى مِيدانِياً لمُعَالجَةِ الجَرحى بِسبَبِ ارتِفاعِ الوَتِيرة بِين الثُوارِ والمُستعمِر البَعثي، راحَت الشَعوب تخرجُ عُراةِ الصُدُورِ إلى المَيَادِين وهُتَافُهُم الوَحيد:

سِلمِية، سِلمِية، سلمِية...

و رَاحت تتهَافت على رؤوسِهم عُواصفٍ مَحمُومَة بِالرَصَاصِ الحي لِيتَسَاقَطوا في السَاحَاتِ على وجُوهِهِم مُرتَطِمينَ بِوَحَلِ دِمَائِهم على مَرأى العَدَسَاتِ الإخبَارِية بِلا حَيَاء، وتَحتَ وَقعِ الرَصَاص المُرعِب تَدخُل تِلكَ الأجسَاد الضَعِيفة إلى المَشفى المَيدَانِي كَشَلالٍ مُنهَمِر لتَستَمِعَ إلى أنين الجَرحى واستِغَاثَاتِهم، وجُوزِيف يُجَدِفُ بِمُعدَاتِ الجِراحة والمُعقِمَات لإنقَاذِهِم مِن رَصَاصَاتِ المَوتِ المُتَعَمِدة.

يَاسَمِينة،

يا كُل أسْرَاي،

و جِراحَ ثورَتي الأنِيق،

يا أُنثى على شَابهَةِ حُرية،

حَرِري آلامِي المُتَعبة مِنكِ أينَ أنتِ! ،

تَقُومُ يَاسَمِينة بِمَهَامِهَا الإنسَانِية لإرسَالِ المَالِ والمُعدَاتِ الطِبيةِ في كُلِ لَيلةِ سَبتٍ

إلى المَشفى المَيدَاني، أولاً مِن أجلِ خِدمَةِ الثُوار وثَانِياً مِن أجلِ رؤيةِ الحُب، كَمَا أنَ جُوزِيف كَانَ يَترَقبُ مَجِيئهَا لإطفَاءِ لَهِيبِ شَوقِهِ،

- أنَتي أجِيتي!

- أي أجِيت وجِبتَلك مَعي أكلِت مَحَاشِي، وبِتسَلم عَلِيك أمِي اكِتير وبتصَلِيلك، أمسَكَ بأطرَافِ أصَابِعَهَا مِن بَعدِ أن شَدَّ أوتار نَظَراتِهِ بِهَا، مُتَأمِلاً بِالبِياضِ في الذي اجتَاحَ بِمَا تَبقَى مِن خَفقَاتِ قَلبِهِ، فَأرادَ أن يَنطقهَا أَراد أنْ يَقولَ لَهَا بِملأِ حُبِهِ لهَا بَأنَهُ يُحبُهَا:

- يَاسَمِينة أنَا أُحِ.....

و قَبَلَ أن يُكمِلهَا دَخَلَ إلِيهِ المُمَرض فَزعَاً:

ـ دِكتُور دِكتُور... إجَانَا جَرِيح وحَالتو خَطِيرة...

وَثَبَ جُوزِيف مُسرِعَاً تَارِكاً البَيَاضِ للفَرَاغِ، للدَهَشة المُستجدة، للهُبوطِ المُتَأمِل، للذُهُولِ المُتَمَسِك، سَحَبَ يَدِيهِ مِن أصَابِعَهَا كَأنَهُ لم يَلمَسَهَا، ولَبَ مَن استَغَاثَهُ كَأنَهَا رُوحَهُ وطَلبت نَجدَتهُ،

شَهَق اليَاسَمِين،

لِفَارِسٍ يرى حُبَ الوَطن بِعيونِ أُنثى،

تَأملت بانسَحابِ ذَلِكَ الهُدوءِ المُؤكسدِ بِثاني هِدروجِين الحُب، أرَادَ أن يَنفُثَ في قَلبِهَا تَراتِيل عِشقٍ تَعزِفَ لأهلِ الهَوى أَلحَانِ الغَرام، ولَكِنَ دِمَاءَ الوَطن حَالت بِينهُمَا بِصَرخَةِ نَجدة،

رَاقَبت لَهفَتهُ،

دَقَقَت بشَهقتِهِ،

خَرجت الكَلِمَات كَنَدى أوائِلَ الصَيف،

انكَمَشَ نَبضُهَا عَن الدَورانِ تَحتَ ظِلالِ اعتَرافَاتِهِ،

و لِكنَ الوَطن،

يَقتُلُنَا بِمُبَاغَتَاتِه، ويُكفنُ لحَظَاتٍ نَحنُ على يَقين بِأنها لن تَعُودَ لنَا مَرةٍ أُخرى بِمُفَاجَأتِهِ، ويدفُنُنَا في قُبورِ الصَمتِ أعوامَاً مِن أجلِ كِبرِياءٍ مُنَافِقٍ.

إذَاً جُوزِيف مَشغُول،

لا أستَطيع الانتِظار أكثَر، عَليَ الرَحِيل قَبل مُنتَصَفِ اللِيل، وخَوفَاً مِنَ العُيون السَاهِرة والنَظَرَاتِ المَاكِرة التي تَتَرَصَد أحرَارِ الوَطن.

رَحَلَ اليَاسَمِين تَارِكَاً للدمِاء احتدَامَاتِهِ البَارِدة، تَارِكَاً لِصَدى المَوت صَلواتٍ لِحِرَاسَةِ الحُبِ وللنَصرِ المُنتَظَر، شَاقَاً جُنَاحِ الظُلمِ والظَلامِ الذِي يَخنقُ عُنُقَ دِمَشق،

دِمَشق،

يا آلِهَةِ العَاصِمَاتِ البَاكِية،

لِما تَبكِي يا حَبِيبَتي! ،

أفصحِي عن ألمكِ يا سِيدةِ العَواصِم،

و هَل هُناكَ وَجَعٌ بَعدَ هَذِهِ الظُلمة الحَالِكةِ بِالمَوتِ المُؤثث! ،

فكُلُ مَن دَاسَ هَذِا الألم المُتَرَسِب على تُرابِي عَرفَ بِأنَ حُكَامَهَا قُوادٌ بلا مَبادئ ولا ضَمِير، فَمنذُ اِندلاعِ الثَورة السُورِية إلى هَذِهِ اللحَظة يسَجل التَارِيخ بِقَلمٍ يَقطُرُ دَمَاً طَازَجٍ الأعدَادَ المَحشورة بالسُجونِ والمُنفَرِدَات، بَينَمَا يرتَفع شَخير

ثَعلَبِ البِلاد ولِصَهَا النَذِل في قَصرِ الرِئَاسة، هُناك وعلى مَقرُبةِ أمتَارٍ مِن وَكرِهِ يَتَلظى آلافِ الأسرى السُوريين نَائِمِين على آلاتِ التَعذِيبِ وقُوفاً على أشلائِهم في الأقبِية الإجرَامِية، ولكَأنَ الشَعبَ لَيس شَعبهُ وهَذِهِ الحُشُود المُكَدَسة في الأفرُعِ العُنصُرِية لَيسَ مِن بَني البَشر، نَم في قَصَرِكَ يا سَفَاحِ البِلادِ على سَرِيرِ دِمَائِنَا، يا لِجُرأةِ أحلامِك الوَسِخة ولِكن القَاعِدة المَعروفة تَنطِبق على دَكتَاتُورِيتِك:

إذا لم تَستَحِي فاصنَع مَا شئت.

لا أعتَقِد بِأنك تَستَحي لا أنت ولا هَذَا العَالم الذي يُبَارِكُ مَجَازِرك يا قَلِيلَ الحَياء.

[١٨]

سَواء نَجَحت أم فَشَلت الثُورة فإنَ النَاس ذُوي القُلوبْ الكَبِيرة سَوفَ يُضحُون مِن أجلِهَا.

هينريش هاينه

في فَجرِ اليَومِ التَالي،

عَاجِل:

الغُوطة الشَرقِية لرِيف دِمشق، تُرجم بِتَرسَاناتِ النِظَامِ السُوري، وسُقُوط الكَثِير مِنَ الضَحَايا بِسَبَبِ القَصفِ العَشوائِي مِن قِبَلِ قَواتِ الأسَد.

الأُمة العَرَبِية في سُبَاتٍ عَمِيق، والرِوَايَات الفَضائِية مُستيقِظة لتَرَصُدِ الأحداث، والأروَاحُ تَتَسابق في مِضمَار المَوت، والمُؤرِخ العِراقي علي الوَردي يَصيحُ قَائِلاً: أُمَة تَأخُذُ دِينَهَا مِن مُفَسِري الأحلامِ هيَ قَطعَاً أُمَة نَائِمة.

لِيسَ المَوتُ هوَ المُنَافِس الوَحيد لِهَذِهِ الأروَاحِ الرَقمِية، لَقد دَخَلت التِكنُلوجِية بِعَدَسَاتِهَا وفَضائِياتِهَا على حَلَبَةِ الصِراع إلى آخرِ لَقطةِ ذُلٍ عَرَبِي،

سَادَتِي الإعَلامِيين،

أصحَابِ الفَضِيلة الصَحَفيين،

مُقَاتِلونَا البَواسِل منَ المُصَورينَ،

المُتدثِرونَ خَلفَ كَواليسِ العَدَسَاتِ الإخبَارِية،

شَمِروا عَن أزرَارِ كَمِراتِكُم، والتَقِطوا لنَا صُوراً جَمَاعِية جَمِيلة تَليقُ بآخِرِ جَسَدٍ يُشَوِهَهُ الدَمَارِ الشَنِيع، لا تُغمِدوا فلاشَتِكُم لم نَمُت بَعد، تَرَصَدوا إبتِسَامَاتِنَا الغَارِقة بِالدِمَاء، تَرقَبوا شُخوصَ أجفَانِنَا الصَاعِدة إلى الله، تَهيؤا لبُكَاءِ طِفلٍ فَقَدَ ضَمائِرَ عُروبَتِنَا، انتَظِروا وَلِيمَةَ الأشلاءِ المُبعثرة على أطبَاقِ نَومِنَا، لا تَرحَلوا قَبل أن تَرسموا للعَالمِ كَلَ صَبَاحٍ أصوَاتِ فَجَائِعنَا، أحصُوا الأروَاح التي رَحَلت إلى السَمَاء، جَرِدوا الأجسَادِ التي تَنَاثَرت، ارسُموا البُيوتَ التي اندَثَرت، أخبِروا الجُبَناء في كُل أصقَاعِ العَالم من مُشاهِدين كَانوا أو حَاقِدين، مُتأثِرينَ كَانوا أو

كَارِهين، بَاكِين كَانوا أو فَرِحين، بِأعدَادِ الموتِ التي طَالت أرحَامِ الأيامَى وضَحكَاتِ اليَتَامى، لا تَقولوا في مُوجَزَاتِكُم الإخبَارِية بأَنَنَا شُهدَاء مِن أجلِ عُيونِ الاتَكِيت الإعلامِي، أخبِروهُم بِأَنَنَا قَتلى مِن أجلِ هَيبَةِ المُوجَز ورَهبَتِهِ.

عَزِيزَتي الإعلامِية،

يا مَن كُلِفتِي بِنَشرِ فَجَائِعَنَا بِابتِسَامَتَكِ التي يَغُلبُ على عَلِيهَا طِلاءِ الشِفَاهِ الأحمر الفَاقِعِ لإثَارَةِ الشَهَوات،

قَدِمِي نَشَراتِنَا بأَقَلِ مِن عِشرِينَ ثَانِية،

عِشرونَ ثَانِية تَكفي لتَنعي أكثَر مِن مِئةِ ضَحِية تَتَراوحَ أعمَارَهُم مَا بَينَ سَنِ الحَيَاةِ ورُعبِ الموت،

أُنشُري مَقَاطِعَ العُيونِ الشَاحِبة والأعضاءِ المَبتُورة والأشلاء المُمَزَقة وصَخَبِ الصَرخَاتِ المَلكُومة ودُخَانِ الأُمةَ العَرَبِية التي تَتَأجَجُ مِن دَمَارِنَا البَدِيع، لا تُظهِري مَزِيداً مِن حَقَائِقنَا الشَنِيعة خَوفَاً على مَشَاعِرِ المُشَاهِدِين، وأخِيراً ولِيسَ آخِرًا عَزِيزَتي مُقَدمَةِ البَرنَامَج الإخبَاري ابتِسَامَتُكِ جَمِيلة وأنتِ تَنشُري مَوتِنَا على مَنشَرِ الفَضَائِية الإخبَارِية وأسنَانُكِ أشَدُ نَصَاعَاً مِن أكفَانِنَا المُغَمسة بِالرُعب، فَحَافظِي على تِلكَ الأنَاقة التي تُنسِي المُشاهِدِين دَمَوَيةِ جُثَثِنَا.

و مِن أجلِ أن لا نَنسَى،

تَحِية إلى الأصَواتِ الإعلامِية التي أجهَشَها البُكَاءِ في حَضرتِ موتِنَا، تِلكَ الشِفاه التي أعلنَت للمُتَربِصِينَ خَلفَ الشَاشَاتِ حِدَادَهَا المُغتَم بِغصَةِ دَمعة أو شَهقَةِ مَشَاعِر.

١٦ أغسطس

في صَبِيحة مَجزَرةِ دُومَا،

وفي ضِيافةِ الرُكَام،

حَصدَ الموتُ مِئةِ شَهِيد مِن ضِمنِهَم أكثَر مِن ثَلاثِينَ طِفلاً لم يَبلُغَ الحُلم وأكثَر مِن مِئتَي جَرِيح، في أربَعَة صَوارِيخٍ فَراغِية أطلَقتَهَا عِصَابَاتِ بَشَارِ الأسَدِ مِن جَبَلِ قَاسِيون المُطلِ على العَاصِمة دِمَشق، لا أكفَانَ تَستُرُ مَوَاجِعَنَا سِوى ثِيابَ الكَرامة ولا قُبورٍ تَكفِينا إلا قَبَراً جَمَاعِياً يَضمُ حُرِيتِنَا، هَنِيئاً لكِ أيتُها الأنظِمَة العَرِبية بِصَمِتكِ الذي يُعدُ شَرِيكَاً بِالقَتلِ والتَنكِيل لن نقَولَ لَكِ سِوى:

صَمتُكُم يَقتُلنَا.

فنَحنُ نَنتَظِر مِن صَمتِكُم المؤتَمرات التي تُحَاكُ بِهَا المؤامرات النِفَاقِية، أو أن تُرسِلوا مَبعُوثِينَ أُمَمِيينَ لِتَحَقَقوا مِن خَبرِ موتِنَا، أو رُبمَا لم يُصَدِقوا أفلامَ الأكشِن التي تُعرضُ على الفضَائِياتِ الإخبَارية، أو لعَلهُم بِينَهُم وبِينَ أفلامَ الرُعبِ أزمَة ثِقة، تَبَاً لَكُم ولِصَمتِكُم القَاتِل.

الدِكتور جُوزِيف،

غَارِقٌ مِنذُ الفَجرِ بإنقَاذِ الجَرحَى، وغارِقٌ المَشفى المَيدَاني بِعَوِيلِ المُصابِين، شُبانٌ شَوهَ الدَمَارُ مَلامِحَهُم على مَنَافِسَ المُوت، وشِيوخٌ مُغمَى عَلِيهُم مِن الجِراح التي لا تَستَحي مِنهَا أُمة بِرُمَتِهَا، وأطفَالٌ أخَاطَ البُكاءُ جُلودَهُم، وكُل مَنَافِذَ المَدِينة مُحَاصَرة والاتِصَالاتِ مُنقَطِعة، والطَبِيب يُواجِهُ الكُثبَانِ البَشَرية المُتَورِمة الجِراح بآلاتهِ الجِراحِية بِجُهدٍ تَنحَني لهُ الجِباه،

أيَّةُ خَسَارة هَذِهِ التي أجهَشَ لهَا الوَطن! ،
هل يَبكِينَا الوَطن في هَذهِ اللحَظة أم تُراهُ سَعيداً بِالتِهَامِ شُهَدَائنَا! ،
أيُهَا الوَطن،
التَهِم مَا شِئتَ مِن بَقَايَانَا المُرتَبِكة،
واسكُب نَخبَ دِمَائِنَا في كُؤوسِ تُرابِكَ المَجُون،
واحشُد دِيدَانِ الأشبَاحِ لنَهشِ أحلامِنَا المَذبوحة على رَحَاك،
واسقي أسمَائِنَا الهَزِيلةِ مِن دُخَانِ تُرابِكَ المُنتَحبِ على فِراقِكَ،
فَنحنُ الراحِلونَ على دَأبِ الحُرية، المُغرَمُونَ لبَقَايا لَحنٍ نِهَايتُهُ الكَرامة.
جُوزِيف تَمَالك نَفسك، واستَجمِع قِواك، كُل مَن في هَذَا المَكان بحَاجةٍ لكَ،
ومَا أنْ تَم دَفنِ الشُهدَاءِ في مَقبَرة جَمَاعية، حَتى عادَ القَصفُ تَارةً أُخرى بِشكلٍ هَمَجِي جُنُونِي،
رَباه مَاذا يَحدُث! ،
وبينَمَا كَان جُوزِيف يُخيطُ ذِراعَ أحدِ الجَرحَى،
وفَجَأة ينهَارَ المَشفى على رُؤوسِ سَاكِنِيهِ بِلحَظةِ ذُعرٍ لتَنقلِبَ أركَانهُ حُطَامَاً اثرَ غَارتٍ جَوِية،
وَقَعَ الطَبِيبُ على الجِراح،
وقَعَ الرُكَامُ على الطَبِيب،
وفَوقَ جِراح الجَرحى جُرحٌ آخَر،
أصَبحَ المَشْفى كَومةَ حُطامٍ يلتَحِفُ أنقَاضهِ أكثَرَ مِن مِئتي نَفسٍ بَشَرِية، لم يَستطع أحد إنقَاذِهُم حتى تَوقِف الغَارة الجُوِية، والفاجِعة الكُبرى بِأن حُطَام الجُدران

قَد غَيبتْ أشلائهُم، وأصوَاتِ الأنِين والعُويل يتَصاعَد مع النِيران، والدُخَان يَتَسلَل إلى مَا بَعد الألم، حَتى شَاهَدت النَاس مِن قَلبِ دِمشقَ تَصَاعُدَ الأدخِنة التي تَحجُبُ الأُفق، والموتُ يَتَرَصد الأموَاتِ قَبلَ الأحيَاء،

جُوزِيف أينَ أنتْ! ،

هُنَاكَ مَن يَنتظرُ نَجدَتَكَ، مَن يَتَرقَبُ لَهفَتك، مَن يَتَرصَدُ طُهركَ، إن كُنتَ على قَيد الحَياة أسمعنِي صَوتَك،

جُوزِيف تَمَالك قِواك،

يَنزِفُ الطَبِيب مِن رَأسِهِ بَعد أن غَابَ عن الوَعي، وسَقَطَت على رُكبَتِيهِ قَذِفية عَابِرة للمُوتِ مِمَا أدى ذَلِكَ لفَقدِ قَدَمِيهِ بَتراً.

انتَهتَ الغَارة، وهَرعَ الثُوار لِنَجدَةِ مَجزَرةِ المَشفى المَيدَاني.

[١٩]

لم نَصنَع الثَورة، ولكِن الثُورة صَنعتنَا.

جُورج بوشنر

هَرَعَ الثُوَارِ لنَجَدةِ المَنكُوبين، وعلى تَكَدُسِ الحُطَام، يَتَلظَى الألم بِكُلِ فَظَاعة، وفي رِحَابِ هَذَا السِينَاريو المُحَاطِ بِالهَلع تَتَبَارز عَدَسَاتِ الفَضَائِياتِ لأخذِ أجمَل صُورة رُكَامِية لِدمَائِنَا المُبَاحة، فَلم تَتَسَاقط تِلكَ القَنَابِل عَليهِم بل إنَهَا وَقعت على صَمِتِنَا وأردتنَا أمواتاً تَحتَ رُكَامِ ضَمَائِرنَا التي تَجرَدت مِن أجسَادِنَا وتَركتنَا نَرتَجِف أمَام شَنَاعَةِ هَذِهِ المَقاطِع المُندَلِقة البَشَاعة، وَجِهُوا كَمِراتِكُم إلى مَرامِينَا، أنشُروا عَوراتِنَا على مَرأى العَالم،

أفشُوا سِرَ مَآسِينَا أمَامَ الجُبنَاء،

أنثُروا رُذَاذَ دِمَائِنَا في نَبِيذَ الخَانِعين،

بَدأَ الثُوار بِنَبشِ الرُكَام لإنقَاذِ مَا تَبقَى مِن أحيَاء، أربَعةِ سَاعَاتٍ مِن التَنقِيبِ المُتَوَاصِل والبَحثُ لا زَالَ جارِياً على مَا تَبقَى مِن أحيَاءٍ وأموَاتٍ، تُخرَجُ الوجُوهُ مِن بَينِ الرَمَادِ مُمَزَقة، لا تَعرِفُ مَلامحَهُم وصَرخَاتِهم الخَافِتة تَستنجِدُ قَائِلةٍ:

يا رب.

شَاهِدوا سَادَتِي العَرب ما يَحدُثَ بِنَا، رُبَما نَحنُ ليسَ أفضلُ حَالاً مِن أهلِ فِلسطينَ والعِراقِ واليَمَن، ولَكِن فُقناهُم مُوتَاً ونَفيَاً وتَشتِيتاً وتَهمِيشاً.

ولم يَلبثوا مَلياً حتى أمسَكت يَد أحدِ المُنَقِبينَ بِيَدِ الطَبِيب جُوزِيف لِيصرُخَ مَذعُوراً:

يا شَبَاب لَقِيت الدِكتُور جُوزِيف وعم يتنَفَس.

إنَهُم يَعرِفُونَهُ كَمَا يَعرِفونَ ثَورَتَهُم، المَشفَى المَيدَاني والسَهَرِ على رَاحَةِ الجَرحى وتَلبِيةِ إغَاثَةِ البَشرِ العُزَل وتَأمِين المُستلزَمَاتِ الطِبية تَشهَدُ على رُجُولَتِهِ وشَجَاعَتِهِ.

سَارعَ النَاسُ والثُوارُ لإخرَاجِ جَسَدِهِ مِن تَحتِ الأنقَاض ولكنَهُم صُعِقُوا عِندَمَا أخرَجُوا جَسَدَهُ بِلا أقدَام،

يا الله، ما الذي يَجري!!

أخرَجُوهُ وأمَاكِن البَترِ تَتَصَبَبُ دَمَاً،

أخَرَجوا أيقُونَةَ الإنسَانِية مَبتُورِ القَدَمين،

بَكتْ العُيون لطَبِيبٍ كَانَ لهُم رَمزَاً لِكِفَاحٍ دَام سَنَتين يُعَالجُ مَرضَاهُم وجَرحَاهُم بِكلِ أمَانةٍ وإخلاصٍ وصِدقٍ وشَرف،

شَرفْ!

هَذهِ الكَلِمَة التي تَنطَبِق على طَبِيبَ الشَرف،

هَذهِ الكَلِمة أُهدِيهَا لكُلِ طَبِيبٍ أقسَمَ أمَامَ اللهِ أن يؤدي عَمَلهُ بِكَلِ إخلاصٍ وتَضحِيةٍ وشَرفْ،

إلى الأطِباءِ الذينَ لم يَهرُبوا خَارِجَ أسوَارِ الوَطن خَوفَاً على مَصَالحَهُم وحَياتِهم،

إلى الأطباءِ الذي طَوى الزَمَانُ أعمَارَهُم في سَبِيلِ إنقَاذِ الأرواحِ البَشَرِية التي طَالبَت بالحُرية والكَرامة،

فُزتُم وطَابَ مَمشاكُم يا حُراسَ الوَطن.

فمَاذا عَسَاي أن أقُولُ لجُبنَاء الطَبِ البَشَري والجِراحي!

مَعَاشِرَ الأطبَاء،

أُيُهَا الهَاربُونَ مِن سِهَامِ القَدر،

سَادَتي حُمَاةَ الإنسَانِية والبَشَرية،

يا حَمَامَنَا الأبيض ونَبضَنَا النَاصِع،

الوَطنْ يُبلِغكُم السَلام، وأنَهُ في قِمَةِ الشَوقِ لَكُم،

و في جَوفِهِ أحَادِيثٍ كَثِيرة وضَحَايا وَفِيرة، وكُلَ يَومٍ يَتَهَاوى على جَوفِهِ آلامٍ وأحزَانٍ، ولم يَعُد يُخرجُ خَيراتٍ وبَرَكَاتٍ، وانطِلاقَاً مِن قُولهِ تَعالى:

و مَا جَزَاءِ الإحسَانِ إلا الإحسَان،

فَقد كَانَ إحسَانَكُم عَظِيم فَجزَاكُم اللهُ ذُلاً وهُوانَاً على خِيَانِتِكُم، الخِيانة أُيهَا الطَبِيب أنْ تَفِرَ بِنَفسكَ إلى بُلدَانِ اللُجوءِ وترمِي خَلف عَاتِقِيكَ صَرَخَاتٍ وآهَاتٍ لأُنَاسٍ هُم بِأمسِ الحَاجةِ إلى عِلمِك وخِبرَتِكَ، الخِيَانة قَسَمَاً قَد أقسمتَهُ أمَامَ الله ثُمَ الوَطنْ ثُمَ الشَعب أن تَفي بإنسَانِيتِك على أكمَلِ وَجهٍ وأتم صُورة، الخَيانةَ بِأن أُشَاهِدَ عِيادَتِكَ بِاسمٍ مُضَاءٍ في بُلدَانِ اللجُوء مَا بَينَما أبنَاء وَطَنك أضحُوا وَلِيمة للمُوتِ بِسَبَبِ هُروبكَ، ولو قُلتُ لَكَ كمَ طَبِيباً خَارِجَ سُورِ الوَطَن لأُصِبتَ بالذُهُول.

لا مَكَانَ للتَأنِيب مَا دَامَ الضَمِير الطَبِي في ثَلاجَةِ المُوتى، هَنِيئاً لُكم بِموتِكُم سَادَتِي.

تَحَسَسَ الثُوار نَبضَ الطَبِيب الذي يَنبِضُ حُبَاً وعِشقَاً، فَسَارَعوا بِهِ إلى أقربِ مَشفى مَيدَاني في عِين تَرما بَجَانِبِ مَدِينَةِ دُومَا، أدخَلُوهُ على عَجَلٍ، رَكَبوا لَهُ المُغَذِي وتَحتَ المَنفَس الاصطِنَاعِي أخَاطوا الحَم المُتَهشم المُتبَقي مِن رُكبَتَيهُ، ولَكِن ازدَادَ الالتِهَاب حُولَ مَكَانِ البَترِ ولم تُجدي نَفعَاً المُضَادَاتِ الحَيَوية لِيَتِم قَرارِ نَقلَهُ خَارجَ الوَطن، وَافَقَت لجَنَةِ أطبَاءِ بِلا حُدود لِنَقلِهِ إلى تُركِيا عَبرَ المَعَابِر الأمنِية، ومن ثُمَ طَائِرة تُقِلهُ وتُقِلُ الحَلاتِ الحَرِجة إلى العَاصِمة الألمَانِية بَرلِين.

نُفِذَ الأمر في غضُون يَومٍ ليَعُبرَ مَعابِر الخُوفِ إلى تُركِيا في لَيلةٍ مَكسُوةٍ بِالغَاراتِ

الجَوية، نَقُلوهُ ودُمُوعَهُ تَتَصَبَبُ وَجَعَاً مُبكِياً، أوصَلوهُ إلى المَنَافِذَ التُركِية واستَلموا مُصَابَهُ هَيئةِ أطبَاء بِلا حُدُود مُسرِعِين بإجراءاتِ السَفرِ إلى بَرلِين وخِلال اليَومِ الثالثِ أقلَعت الطَائِرة مُحَمَلة بالحَالاتِ الحَرِجة لتحُط بِلَفِيفِ الألم في ألمَانِيا مُسرِعة بِهِم إلى العِنَاياتِ المُركَزة.

هَنِيئَاً للأيادي الخَفِية في ثُورةِ الحُرِية،

تِلك الأكُف التي تُقدِم بِلا مُقَابِلٍ شِعَارُهَا الإخلاصِ والقَضاءِ على الظُلم،

هَنِيئاً إلى كُلِ مَن صَمدَ إلى هَذِهِ اللحظةِ مِن أطبَاء شُرفَاء ضَحوا بأرواحِهِم وأنفُسَهُم وأموَالِهِم لإنقَاذِ مَا تَبقى مِن أبطَال،

هَنِيئاً لِحَمَلةِ السَلاح المُدَافِعونَ والمُنافِحُونَ عن تُرابِ وَطَنِنَا وشَرفِ حُريتِنَا ونُورَ الدِيمُقراطِية،

هَنِيئاً لأصحَابِ القُبعَاتِ البَيضَاء المَعرُوفُونَ بِالدِفَاعِ الوَطَني البَاحِثِين عَن أحيَاء مِن تَحتِ الرُكَام والمُسعفين المُصابِين بِلا مَالٍ ولا عِوض،

هَنِيئاً للسِيَاسِيين الذِين لم يَلهَثوا خَلفَ المَنَاصِب والفَنادِقِ ولم يَتَلوثوا بِأفكَارِ العُنصُرية والطَائِفية،

هَنِيئاً لِحُراسِ التُرابِ والسَاهِرينَ على أمنِ الشَعبِ المَلكُوم الذينَ لم يُغرِهِم تُرَابَاً سِوى تُرابَ وَطَنِهِم،

هَنِيئاً لِمن اُستُشهِدَ في وَطنِهِ وأبى الموت إلا على سَبِيلِ حُرِيتِهِ وكَرامَتِهِ،

و تُعسَاً لنَا نَحنُ أصحَابَ الكُوادِرَ الجَبَارة مِن أطبَاءِ ومُهندِسين ومُقَاتِلينَ وتُجَارٍ وصُناعٍ وحِرفِيين على فِرارِنَا وهُروبِنَا مِن وَطَنِنَا الأُم سُوريا،

لا تُصَدِق بِأنَ هُنَاكَ أحُنُ عَلِيكَ مِن وَطَنِك، ولن يَروي نَار شَوقِكَ سِوى

بَلدك، سَتشُعر بِالبَرد والحَر والجُوع والقَهر في المنَفى والمَهجر وبُلدَانِ اللجُوء، ولكِن لا تُصَدِق بِأنَ وَطَنَاً يَسدُ أبوابَهُ في وَجهِ أبنَائِهِ حتى وَلو خَانُوهُ أو غَدَروا بهِ، فإن كُنتَ أنتَ خَائِنَاً فالوَطَنُ أحنُ بِكَ مِنكَ، لَقد صَدقَ، دَايرو فو عِندمَا قَال:

وَطَنُنَا هُوَ العَالم بِأسرِهِ، وقَانُونُنَا هوَ الحُرِية، لا يَنقُصُونَا إلا الثَورة في قُلوبِنَا.

[٢٠]

يُمكِنُكَ أنْ تعتَقِل ثَوري، ولكِنْ لا يُمكنُكَ اعتِقال الثَورة.

هِيو نيوتن

يَاسَمِينَة،

تِلكَ اليَاسَمِينَة المُتَسَرِبة انسِجَاماً مَع كُلِ شَيءٍ مُبتَلٍ بِالنَصَاع، قَد أرهَقَتهَا فَوضى التَوتِر الذي يَحرقُ قَلبَهَا الرَقراق، فَمنذُ خَمسةِ أيَامٍ وكُلِ وسَائِلِ الاتصَالاتِ مُنقَطِعة في غُوطَةِ دِمَشقَ، واضطِرابِ أفكَارَهَا يُشَتِتُ ذِهنَهَا ويُؤرِقُ صَفوَهَا ويَزِيدُ من تَعكِير صَفائَهَا،

خَمسَةَ أيامٍ وشَاشَاتِ الإعلام تَبثُ سُمومَ الموتِ في غُوطَةِ دِمَشق، والنَشَراتِ الإخبَارِيةً لا زَالَ يَتَقَاطُرُ مِنهَا دَمَاً مُفجِعَاً، وخُوفُ الدِمَشقِيين على أهَالي الغُوطَة يُكَبِل تَصَبُرِهِم على مَا يَحدث مِن قَصفٍ عَشوَائيٍ،

و لا زَالتْ يَاسَمِينة تَبحَثُ عَن مَنفَذٍ لِدُخُولِ الغُوطَة بِأيَةِ وَسِيلةٍ للاطمِئنَانِ على جُوزِيف، ومَا إن نَفِذِ الصَبر حَتى بَدَأت تُلَملِم شَتَاتَ شَجَاعَتها وتَقُوم واثِبة على قَدمِيهَا.

إلى أينْ آنِسَتي..! .

إلى دُومَا... إلى جُوزِيف... إلى المُوت...

لم أعُد أحتَمِل كُل هَذهِ المَشاهِد المُرعِبة، أشعُر بِأنَ جُوزِيف حَدَثَ لهُ مَكرُوه، شِيئاً في أحشَائِي يَحتَرق على هَذَا الانقِطَاع.

و لَكِن الوَضع لا يَسمَح لِدخُولِ الغُوطة...!

لَستُ مُهتَمة... أُرِيد الذَهَاب إلى الغُوطَة مَهما كَلَفَ الأمر.

جَمَعت في حَقِيبَتَهَا بَعَضَ الحَلوِيات وشَيئاً مِنَ القَهوةِ المَطحُونَة، لِعلمِهَا بِشَغَف جُوزِيف للقَهوة والحَلويَات، وخَرَجَت مِن غَير أن تُعلِم أُمَهَا بِخُرُوجِهَا، لَكِن إلى أين! .

الحُبُ لا يَعرِفَ المُوت ولا الحَرب ولا الفِتَن، صَدَق مَن قَال الحُبُ أعمَى.

على المَحطَات التي تُقِلُ الرُكَاب إلى غُوطَةِ دِمَشق تَخُلو تِلكَ المَحَطة مِن مَلامِح الحَياة، وحَتى الحَافِلات لم تَعُد هُنا سِوى ثلاث سِيارات خَاصة، وبَعدَ أن أصَابتَهَا الصَدمَة الثَانِية تَخَفت بِينَ المَحالِ المُغلقة وارتَدت وِشَاحَاً على رأسيهَا خُوفاً مِن الأعُينِ الفُضُولية والأنظَارِ المُتَطَفِلة وقَصَدت أحَدِ السِياراتِ الخَاصة، انخَفَضَت لتَرى مَن في جَوفِ السِيارة، فَرأت في المَقَاعِد الخَلفِية رَجُلاً مُسِنًّا مَع فتَاةٍ بِجَانِبِهِ رُبمَا هِيَ ابنَتَهُ وسَائِق السِيارة في الأمَام.

ـ مَرحَبَا مَعلِم... لَوين مِتِجه... عالغُوطَة شِي !؟

أطرَقَ السَائِق رَأسَهُ لِيرى مَن المُتَكَلِم:

ـ أهَلا وسَهَلاً آنِسة... إنشَاءَ الله عَا دُومَا... تَفَضَلي ازا طَالعَة عَا دُومَا بُوصلِك..!

اطمَأنَت يَاسَمِينة للرَجُل والشَيء الثَانِي بِأن السِيارة تُقلُ بَعضَ الرُكَاب ورَكَبَت بِجَانِبِ الفَتَاة وانطَلقت السِيارة على عَجَلَاتِ الذُعر لِتَمشِي بِهم على شُوارِعِ الخُوف، والدَمَار المُتَراكِم على أطرافِ الطَرِيق يُوحي لَكَ بِأننَا في حَربٍ عَالمِية، البِيوت قَد تَهَاوت على سَاكِنِيها والحَياة رَحلت مع أحلامِ أهلهَا، وازدِحَامِ الأمسِ بضَحَكاتِ المَارة أضحى أنِينَاً تَكَادُ تَسمعهُ هُنَا وهُنَاك،

دَمَارٌ أنِيق في كُلِ مَكَان، أنِيقٌ في عُيونِ الخَونَة والجُبَنَاء.

سَألهَا السَائِق:

ـ وَين حَابة نَزلِك بِدومَا لأنُو قَربنَا نَوصل يا أنِسة!!!

كَأنَ السَائق هُوَ قَلبَهَا وذَلِكَ الخَفَقانِ في أورِدَتهَا هُوَ السَائِل وَلَكَأنَ الذِي أجَابَ

هَوَ شُوقَهَا مُدَندِناً:

أنزِلنِي حَيثُ يَنتَهِي الحُب،

أجابَت بَعدَ بُرهَة مِنَ دِوارِ الشَوق:

- نزلنِي قَرِيب مِن المَشَفى المَيدَاني إذا سَمَحت.

وَقَفَت السِيارة خَلف الدَمَار الحَزِينْ،

و قَالَ لَهَا السَائِق:

- المَشَفى المَيدَانِي على بَعد أربَع مِئةِ مِتر مِن هُنَا، يَصعُب على السِيارة الدُخُول وَسَط هَذَا الدَمَار أنَا اعتَذِر آنِسَتِي.

دَفَعت لهُ الأُجرة وشَكرت أخَلاقَهُ ونَزَلَ اليَاسَمِين ليَطَأُ بِعَبَقَهِ رُكَانَ الحُطَام،

مَشَت إلى المَشَفى بِخفةِ رِيشَةٍ مُثقلة بِالحَنِين، تَجرُ خُطى شَوقِهَا وخُوفِهَا مَعَا إلى الحُب المُلَطخِ بِكَوَارِثِ الحَرب، حَتى لَمحت المَشَفى هَامِداً كَأنَهُ أعجَازِ نَخلٍ هَاوِية،

سَقَطت الحَقِيبة مِن يَدَيها كَمَا سَقَطت رُومَا،

و رَاحَ الغُبَارُ يَصفَع نَصَاعَ اليَاسَمِين تَحتَ فَكَي الدَمَار، لِتَنهَمرَ الدُموعُ مِنَ الآمَاقِ على خَديِّ الصَدمَة، وفي الحُنجَرة صَرخة وَطَن رَاحت تُدوي بِأعلى مَا أُوتِي الصُوتُ مِن ألم:

جووووووووووووزززززززززززيييييييييييف....

لم تُدِركْ بِأنَ صُوتَهَا أوجَعَ الجِراح المُتَرامِية على أرضِ الوَطن، سَمعَ الأحَياءُ مُوسِيقى وَجع يَعصِفُ مَعَ بِدَايةِ غَارتٍ جَدِيدة على الغُوطَة، فَأسَرعَ الثُوَارُ إلِيهَا يَسحَبونَهَا مِن يَدِيها إلى أحَدِ المَلاجِئ، ودُمُوعَهَا تَحكي قِصَةَ عُرسَ الشَهِيد،

قَالت لَهُم بَعدَ أن أنَاخَ رُكَامَ المَشفَى على أنفَاسِهَا:

- أبُوس أيدكُون وينْ جُوزِيف، خَبرُونِي عَايش أو مَيت!!

أطرَقَ الشُبَانُ رُؤوسَهُم لِيَتصدّرَ أحَدَهُم الكَلام عَالماً بِكُلِ أخبَارِ الدِكتور جُوزِيف قَائِلاً:

- الدُكتُور اتَصَاوب يا أنِسَة ونَقَلوه على تُركِيا ومِن تُركِيا لألمَانِيا، وللأسَف إنبَتَرت رِجلو التِنتِين.

أُغمِيَ اليَاسَمِين عَليهِ مِن رِماحِ الصَدمَة الذي أفقَدَهَ الوَعي، ومَن قَالَ لَكَ بأنَ اليَاسَمِين لا يُغمى عَلِيهِ، أربَعُونَ خَرِيفاً واليَاسَمِين الدِمَشقي لم يَنعَم بِالرَبِيع يَومَاً ولم يَتنَفس مِن غُبَارِ الاستبدَادِ، حَتى وَصلَ بِهِ الحَال بأنْ يُلاحق ويُطَارد ويُسجَن ويُعَذَب ويُقتَل لأنَهُ أبَى إلا أنْ يَكُونَ حُراً أبِياً أمَامَ غَاراتِ الظُلمْ.

و بَعدَ أنْ هَرعَ إلِيهَا الثُوارِ لإيقَاظهَا، حَتى أفَاقَت مِنَ ألمِ الصَعقَة الدَمَوِيةِ.

جَمَعت مَا تَبقى مِن دُمُوعَهَا ووقَفَ رُكَامِ الألم يدُوسُ الوَجع المُتَصَبِبِ مِن بِينِ الحُطَام تَارِكاً للمَكَانِ دَمعةِ نَزِيف لنَ تَلتئم إلا بِرؤياهُ.

أَوصَلهَا الثُوَار إلى بَرِ الأمَانِ بَعد أن زَوَدَوهَا بِعَنَاوينَ المَشفَى الذِي يَتَعالج بِه جُوزِيف في العَاصِمَة الألمَانِية بَرلِين.

عَادَ اليَاسَمِين إلى مَخلَدِهِ أسِفَاً حَامِلاً عِبأ نَقَائِهِ على أكتَافِ الحُزن، دَخَلَت يَاسَمِينة إلى المَنزِلِ بَعدَ أنْ غَابَ نُورِ الألم، شَاهَدَت أُم يَاسَمِينة أجفَانَهَا المُنتَفِخة وشِفَاهِهَا المُتَورِمَة، فَدَبَ فِي صَدرِهَا الفَزع، رَاح اليَاسِمين يَتَسَاقط في أحضَانِ أُمهِ بَاكِياً، ضَمت الأُم حُزنَ ابنتَهَا على دَفَة صَدرِهَا والهَلعُ قَد أنَاخَ قِواهَا سَائِلةً:

- شُو فِي يا بِنتي،

- ياسَمِينة، مَامَا رَعبتِيني شُو فِي..!!! .

رَاحَت ياسَمِينة تَشرَحُ لَهَا وتُقنِعَهَا عن اضطِرارَهَا بِالسَفَرِ إلى تُركِيا لأمرٍ ضَروري... وتُلحُ عَلِيهَا بِتَوسلٍ..

لم تَقتَنع الأمُ، ولَكن رَاودَهَا الخُوف مِن أن يُلقى القَبضُ عَليهَا مِن قِبَلِ قُواتِ الإجرامِ البعثِية.

أمَدت الأم ابنتَهَا بِمَبلغٍ ضَخمٍ مِنَ المَال، وحَجزَت لَهَا تَذكرة طَيران، وودَعتَهَا في اليومِ الثَاني، وآخر كَلِمة قَالتهَا لَهَا:

- يا بِنتي يا ياسَمِينة أنَا رَبيتك كُل شِبر بِندر،
- وبَعرفِك إنك قَد حَالك وما بِنخَاف عَلِيكِ،
- رُوحي يا مَامَا العَدرة تحمِيكِ والرَب يحرسِك.

انطَلقت الطائِرة مُعلِنَة الوَدَاع، ذَاكَ الوَداع الذِي أبكَانَا وأبكَى المَلايين مِنَ المنفيين والمُهجَرين واللاجِئِين في أصقَاعِ الأرض.

[٢١]

جِسمِي مَعي غَيرَ أنَ الرُوحُ عِندَكُمُ
فالجِسمُ في غُربةٍ والرُوحُ في وَطنٍ
فَليعجَبُ النَاسُ مِني أنَ لي بَدنَاً
لا روحَ فِيهِ ولا روحٌ بِلا بَدنِ.

المُبّرد

هَبطَت الطَائِرة في مَطَارِ إزمِير الدُولي المعَروف رَسمِياً بِمَطَارِ:
عَدنَان مَندَرِيس الدُولي.
في أحَدِ صَباحَاتِ القَهوةِ التُركِية،
هَنَا تُركِيا يا يَاسَمِينَة...
إلى أين أنتِ ذَاهِبة يا عَزِيزَتي.!!! .
إلى ذَلِكَ الرُجُل الذِي ظَلَمَهُ قَلبِي..
ولَكِنهُ فَقدَ أطرَافَهُ آنِسَتِي..
نَعم، ولِكنَ قَلبَهُ لا زَال يَنبضُ عِشقَاً شَرقِياً في ذَلِكَ الغَرب.
لَقد أمَدَهَا أحد الثُوار بِعنوانِ رجُلٍ حَلبي يُهرب البَشر إلى اليونَان عَبرَ البَحر،
في لَحظَةِ خُروجِهَا مِنَ مَطَارِ ازمِير، رَكِبَت التَكسِي إلى ذَلِكَ العُنوَان، وفي حَالِ وصُولِهَا إلى مَنزل تَاجِرَ البَشر، طَرقت البَاب، فَفَتحَ لَهَا رَجُلٌ مُسِنٌّ بِشاربٍ طَويل وقَامة قَصِيرة قَالت مَذعورة:
- مَرحَبا يا عَمي أبو عَبدو، أنَا مِن طَرف أبو يُوسِف الدُومَاني.
نَظَرَ إلِى جَمَالِهَا الدِمَشقي الشَاهِق قَائِلاً لَهَا:
- أهَلاً وسَهَلاً عَمو تَفضَلي زُوجتي بِالبَيت ولحُسن حَظك أنو هَالِيلة عِندَنَا رِحَلة عاليونَان، أكِيد أنتِي مَهَاجرة صَحْ!!
- أي والله يا عَمي أبو عَبدو.
- ولا يِهمِك عَمي أنا بِخدمة الأكَابِر.
اتَفَقتْ مَعَهُ على أُجرَةِ الرِحلة الخَطِيرة عَبرَ البَحر، ودَفَعت لَهُ ألفْ دولار مُقَابِل إيصَالِهَا إلى السَواحِل اليُونَانِية، وجَاء وَقتُ الرَحِيل.

السَاعة ٠ : ٢ لَيلاً بِتُوقِيتِ الرَحِيل.
هَنَا على يَابِسَةِ قَلبِي أُهاجِرُ إليكَ سَيدي،
أتيتُكَ مِن كُلِ مَنَافِي الألمِ لاجِئاً بِأمتعَةِ الحُزنِ البَحرِية،
جُوزِيف دَعني أقُولُ لَكَ يا حَبِيبي لأولَ مَرة،
دَعني أقولُ لَكَ يا نَبضِيَ الشَرقي الذي يَخفِقُ في غَربك،
رُحمَاكَ يا مَلاذَ هَواي مِن رَدِ عِشقي لك يا طَبِيبي.

سَبعة وأربَعونَ نَفساً على قَارِبٍ مَحشوٍ بِالهواء، خمسَة عَشرة طِفلاً لم يَبلغوا رَاحةَ الوَطن، وعشرةَ نِساءٍ شَاحِبات أمَامَ هُدوءِ البَحرِ الكَاذِب، واثنَان وعُشرونَ رَجُلاً جُلُهُم مِنَ شُبَانٍ بِأعمَارِ الطُموح، والكُلِ مُدَججٌ بدُرُوعِ النَجَاة خَوفَاً مِنَ الغَرق، رَكبت الأرواحُ على قَارِبِ الهَواء، والألسِنة تَتَعالى بِالصَلواتِ والدَعَوات، لا نَدري أنصِلَ إلى شَواطئ النَجَاة أم إلى يَابَسةِ المُوت!!!
سَارَ بِنَا المِجدَاف الكَهرُبائِي على مَسَاحَاتِ البَحرِ المُتَرامِية، حَتى اختَفت أُفق السَواحِل التُركِية،
لا أعلم لِمَن أستَمِع،
إلى بُكَاءِ الأطفَالِ،
أم إلى صَلواتِ النِسَاء،
أم إلى ثَرثِرة أحَلامِ الشُبَانِ،
أم إلى أمواجِ الموت المَائِية!!! ،

خَمسِونَ دَقِيقة بِين مَخَالب الليلِ وأنيَابِ البَحرِ لتَتَعالى الأصوات مَصحُوبَةٍ بِالبُكاء والعُويل،

لَقد تَدفقَ المَاء مِن أربعةِ ثُقوبٍ بِسَبَبِ الوَزن الزَائِد في القَارِب، ورَاحت الأرجُل تَغُوصُ بِالمَاءِ والدَعَوات يصحبُها بُكاءٍ وعَويل، لِغرَقَ القَارِبُ ويُغرقُ مَعَهُ حُمُولَتهُ البَشَرِية، لا مُنقِذَاً لِصيحَاتِهم سِوى ضَوءَ القَمر، بَدأ البَحرُ يَلتَهمَ وَجبَاتَهُ البَشَرِية بِكُلِ هُدوءٍ، حَاولَت يَاسَمِينَة إنقاذَ طفلٍ بَعد أن غَرِقَت أمُهُ، ولَكِنَ هَذا البَحرُ لِيس مِنهُ أمَان،

أمسَكت يَاسَمِينَة بِيَدِ الطِفلِ ولَكِن المَاء أبتَلعَهُ قَبَلَ أن يَتَلفظ كَلمَة مَامَا،

حَاولت ياسَمِينة أنْ تَنجُو بِنَفسهَا،

وبَدَأ جوف البَحر يَبتَلعهَا شَيئاً فَشيئاً،

حَتى شَهقتْ مع جُرعَاتِ العِشقِ كَمِياتٍ مِنَ المَاء،

لِيلفظُهَا البَحرُ شَاخِصةً بِبَصِرهَا إلى القَمر أو رُبَمَا إلى الوَطَن أو إلى الحُب بَعدَ أن خُرجَت رُوحهَا.

لِشَعرِهَا المُبتَلِ بالذُلِ، لاخضِرارِ عَينيهَا بِطحَالبِ الموتِ، لَشهقَاتِ البَيَاضِ المُكَفَنة بِالمِياهِ المُظلِمَة، لتَجَمُدِ أطَرافَها بهدُوءِ اللِيلِ، لِدمَشقَ وحِدَادِهَا على شُبَانِهَا، لِكُلِ مُهَاجِرٍ رَكِبَ قَواربَ الموت، للنَاجِينَ الذِين مَروا على دَربِ المُحِيطَات يُغَني قَلمي:

سَفرنِي على أيَ بَلد،

و اتركِني وإنسَاني بِالبَحرْ،

أرمِيني ولا تِسْأل،

مَا عِندي طَريق ثَاني،
مو طَالع شِم الهَوى،
و لا رَايح غَير جَو،
بَيتي بالضْرب هَوَا،
و دُخان الحَرب عَمَاني.

أتَممتُ رِواية:

نَبضٌ شَرقِي يخفِقُ في الغَرب .

في بَلَد الحُرية والديمُقرَاطية: النَمسا ، في عَاصِمَة البيانو والكَمنجة: فيينا ،

في أجمَل مَكَان لَدي: المَكتبة العَامة في الحَي السَابع .

السَاعة: ٣٠: ٠٥ ، مسَاءً ، قَبلَ غُروبِ الحُب .

مِن تَارِيخ: ٣/٣/٢٠١٧ .